11

2014

الراسخون

السيكولوجيا من منظور التراث النفسي العربي الإسلامي

إصدارات لجنة التراث النفسي العرباسلامي

عدد 11



2014

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

الإنســـان والنفــس الإنسانيـــة لــدى علمــاء التـــراث

(نمـــــاذج مختـــــارة)

د. صالــد بــن إبراهيــم الصنيــع

الفهـــــــرس

الإنســـان والنفـــس الإنسانيــــة لـــــدى علمـــــاء التـــــراث

أن الإنسان مخلوق من عنصرين هما المادة (التراب) والروح. وهما يحتاجان إلى ما يشبعهما، فالمادة تحتاج لحاجات الجسدية من غذاء وجنس وراحة وما يدخل فيها، وكذلك الروح تحتاج إلى إشباع عن طريق ما يأتي به الدين من عبادات وأخلاق

ملخـــــــــص

هدفت الدراسة إلى استعراض نماذج من تناول مجموعة من علماء التراث المسلمين لموضوع الإنسان والنفس الإنسانية. ووجد الباحث صعوبة في اختيار العلماء واستقر الرأي لديه بتقسيم العلماء على طبقات بحيث تغطي الطبقة ثلاثة قرون وفي كل طبقة تم اختيار ثلاثة علماء حسب التوزيع التالي:

أولاً: الطبقة الأولى (1ـــ300هـــ):

ابن المقفع (142هـــ)، المحاسبي (243هـــ)، الجاحظ (255هـــ).

ثانياً: الطبقة الثانية (301ـــ600هـــ):

ابن مسكوية (421هـــ)، أبوحامد الغزالي (505هـــ)، ابن الجوزي (597هـــ).

ثالثاً: الطبقة الثالثة (601ـــ900هـــ):

فخرالدين الرازي (606هـــ)، ابن تيمية (728هـــ)، ابن قيم الجوزية (751هـــ).

رابعاً: الطبقة الرابعة (901ـــ1200هـــ):

السيوطي (911هـــ)، المغراوي (920هـــ)، أبن حجر الهيثمي (973هـــ).

خامساً: الطبقة الخامسة (1201هـــ فما بعدها):

القاسمي (1332هـــ)، عبدالرحمن السعدي (1376هت)، محمد قطب (معاصر).

وتم اختيار نماذج من كلام هؤلاء العلماء هؤلاء الإنسان والنفس الإنسانية، وختمت كل طبقة بتعليق للباحث. وأخيراً ختمت الورقة بالخلاصة التالية:

من خلال النماذج التي تم عرضها قد لا نستطيع تقديم صورة كاملة الملامح لنظرة علماء التراث النفسي للإنسان والنفس الإنسانية، لأن ذلك يحتاج مساحة أكبر نستطيع من خلالها عرض نماذج أكثر وتفصيلات أوسع تعكس الصورة بشكل قريب من ما قدموها في طروحاتهم، ولكن نظراً لمحدودية الصفحات المتاحة لهذا الورقة البحثية، ولضيق الوقت، نرجو أن نكون وفقنا في اختيار النماذج التي تعطي لمحات عن تصور هؤلاء العلماء للإنسان والنفس الإنسان، وربما أمكننا أن نلخص ملامح التصور هذا التصور في النقاط التالية:

1) أن الإنسان مخلوق من عنصرين هما المادة (التراب) والروح. وهما يحتاجان إلى ما يشبعهما، فالمادة تحتاج لحاجات الجسدية من غذاء وجنس وراحة وما يدخل فيها، وكذلك الروح تحتاج إلى إشباع عن طريق ما يأتي به الدين من عبادات وأخلاق.

2) أن مصادر المعرفة للإنسان تبدأ بالحواس ثم العقل ثم الوحي، ويكون الوحي هو المعيار لما يقبل ويرفض من المصدرين السابقين.

3) إن النفس الإنسان لديه الاستعداد للخير والشر، ولكنها مفطورة على فطرة الخير المركوزة في الجبلية الإنسانية، ما لم يأتي ما يحرفها عن فطرتها من عوامل خارجية كالوالدين والشيطان ورفاق السوء.

4) أن الأمراض النفسية لا تتوقف على ما يدرس حالياً في علم النفس بل يدخل فيها ما يعرف بأمراض الباطن أو أمراض القلوب والتي ورد لدى علماء المسلمين تناول لها في الوقاية والعلاج مما لا يتوفر لدى الباحثين الغربيين.

العديد من علماء المسلمين يستفيدون مما يورده غير المسلمين فيما يتعلق بالإنسان والنفس الإنسان وقوى النفس، ثم يضيفون ما يقدمه لهم الوحي مما معارف توسع آفاق تناولهم لتلك الموضوعات وتنقلها إلى فضاءات أرحب وأكثر قرباً من واقع الإنسان والنفس الإنسانية.

أن مصادر المعرفة للإنسان تبدأ بالحواس ثم العقل ثم الوحي، ويكون الوحي هو المعيار لما يقبل ويرفض من المصدرين السابقين

إن النفس الإنسان لديه الاستعداد للخير والشر، ولكنها مفطورة على فطرة الخير المركوزة في الجبلية الإنسانية، ما لم يأتي ما يحرفها عن فطرتها من عوامل خارجية كالوالدين والشيطان ورفاق السوء

مقدمـــــــــــــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على بينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

الإنسان هو المخلوق المكرم من لدى الله سبحانه وتعالي عندما يقوم بشريعة الله في أرضه. والكتابة عنه تحفها كثير من الصعوبات والمشآق، بناءً على تعدد جوانب الإنسان وعظم مسئولياته عن ذاته ومن حوله من البشر وسائر المخلوقات. وعندما طلب من الباحث المشاركة بورقة بحثية عن "الإنسان لدى علماء التراث " وجد صعوبة في تحديد المراد، لكون الإنسان متعدد الجوانب (جوانب روحية وجسمية وعقلية ووجدانية واجتماعية) ولكون علماء التراث يصعب حصرهم. ولكوننا نعيش في القرن الخامس عشر الهجري، فنحن أمام خمسة عشر قرناً مليئة بالعلماء الأفذاذ. وفكر الباحث بمنهجية يتبعها لاختيار نماذج من تراث هؤلاء العلماء، فوجد المنهجية التي سار عليها الدكتور عبدالله الصبيح في تقسيم علماء التراث إلى ثلاثة اتجاهات:

1) الاتجاه الأثري: يعنى هذا الاتجاه في التراث النفسي بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية مما له علاقة بالنفس ويفسر هذه النصوص ضمن منهج أهل السنة والجماعة.

2) الاتجاه الصوفي: يعنى هذا الاتجاه بتصفية النفس وتزكيتها عند بدايته، ثم تحول من حركة زهد تعتني بالعبادة وتقوم على المجاهدة إلى حركة فلسفية فكرية.

3) الاتجاه الفلسفي: يعني هذا الاتجاه في الكشف عن الحقيقة على المنطق الصوري أو القياسي أو الاستدلالي البرهاني (الأرسطي)(الصبيح، 1420هـ، 218-238).

وهذا التقسيم تناوله الباحث في كتاب سابق له (المدخل إلى التأصيل الإسلامي لعلم النفس، 1428هـ) وبين جدته ولكن أعترض عليه من حيث صعوبة تصنيف بعض العلماء في واحد من الاتجاهات الثلاثة حيث نتاجه العلمي يمكن أن يدخله في اتجاهين من الاتجاهات المذكورة.

وبدأ للباحث أن يسلك منهجية تقوم على تقسيم القرون الهجرية إلى طبقات كل ثلاثة قرون طبقة، ورجح اختير عدد ثلاثة قرون تيمن بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين

> الأمراض النفسية لا تتوقف على ما يدرس حالياً في علم النفس بل يدخل فيها ما يعرف بأمراض الباطن أو أمراض القلوب والتي ورد لدى علماء المسلمين تناول لها في الوقاية والعلاج مما لا يتوفر لدى الباحثين الغربيين

رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))(صحيح البخاري، كتاب الشهادات،باب9). بحيث أصبح لدينا خمس طبقات وفي كل طبقة يتم اختيار ثلاثة علماء، وكل عالم تؤخذ نماذج من كتاباته حول الإنسان والنفس الإنسانية. وعندما أراد الباحث أن يختار علماء من كل قرن بحث عن المصادر فوجد كتب السير، ومن أشهرها كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي (748هـ)(16 جزء) وكتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي وفيهما سير عدد كبير من العلماء. ونظراً لأن الكتابين لا يتعديان القرن السابع، وجد الباحث كتاب " المختار المصون من أعلام القرون (من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر) لمحمد حسن موسى (3مجلدات) فتم اختيار بعض العلماء منه، ثم وجد الباحث في مكتبته الخاصة كتاب "دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث" (3مجلدات) الصادر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي (1412هـ) والذي بدأ بعلماء من القرن الأول وأنتهي بعالم معاصر، فقرر الباحث أن يختار العلماء في الطبقات الأولى والثانية والثالثة من المصادر الثلاثة السابقة، ثم استكمل اختيار علماء الطبقة الرابعة وكذلك عالم من الطبقة الخامسة من المصدر الأخير، ثم أختار الباحث عالمينلاستكمال علماء الطبقة الخامسة. وهذا توزيع العلماء على الطبقات الخمس:

أولاً: الطبقة الأولى (1ـ300هـ):

ابن المقفع (142هـ)، المحاسبي (243هـ)، الجاحظ (255هـ).

ثانياً: الطبقة الثانية (301ـ600هـ):

ابن مسكوية (421هـ)، أبوحامد الغزالي (505هـ)، ابن الجوزي (597هـ).

ثالثاً: الطبقة الثالثة (601ـ900هـ):

فخرالدين الرازي (606هـ)،ابن تيمية (728هـ)، ابن قيم الجوزية (751هـ).

رابعاً: الطبقة الرابعة (901ـ1200هـ):

السيوطي (911هـ)، المغراوي (920هـ)، أبن حجر الهيثمي (973هـ).

خامساً: الطبقة الخامسة (1201هـ فما بعدها):

القاسمي (1332هـ)، عبدالرحمن السعدي (1376هت)،محمد قطب (معاصر).

وسنحاول في الصفحات التالية تقديم نماذج من كتابات كل عالم من هؤلاء العلماء حول الإنسان والنفس الإنسانية، مسبوقة بتعريف مختصر به.

الاتجاه الأثري: يعنى هذا الاتجاه في التراث النفسي بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية مما له علاقة بالنفس ويفسر هذه النصوص ضمن منهج أهل السنة والجماعة

أولاً: الطبقـــــة الأولـــــى (1ـ300هـ):

1-ابــــــن المقفــــــع (106ـ142هـ):

هو عبدالله بن المقفع: أصله من فارس، ولد في العراق (106هــ) مجوسياً وأسلم على يد عيسى بن علي (هم السفاح) وولي كتابة الديوان للمنصور العباس، وترجم له كتب أرسطو طاليس الثلاثة في المنطق وكتاب المدخل إلى علم المنطق، وترجم عن الفارسية كتاب كليلة ودمنة، ومن كتبه الأدب الصغير والأدب الكبير، والصحابة، واليتيمة. ومات أبن المقفع مقتولاً عام 142هـــ.

يتحدث ابن المقفع على أهمية محاسبة النفس وعدم تركها لهواها المهلكة له دنيا وآخرة، فيقول:

(على العاقل مخاصمة نفسه ومحاسبتها والقضاء عليها والإثابة والتنكيل بها. أما المحاسب، فيحاسبها بما لها، فإنه لا مال لها إلا أيامها المعدودة التي ما ذهب منها لم يستخلف كما تستخلف النفقة، وما جعل منها في الباطل لم يرجع إلى الحق، فيتنبه لهذه المحاسبة عند الحول إذا حال (نهاية العام)، والشهر إذا انقضى، واليوم إذا ولى، فينظر فيما أفنى من ذلك، وما كسب لنفسه، وما اكتسب عليها في أمر الدين وأمر الدنيا. فيجمع ذلك في كتاب فيه إحصاء/ وجدّ، وتذكير للأمور، وتبكيت للنفس وتذليل لها حتى تعترف وتذعن.

وأما الخصومة، فإن من طباع النفس الآمرة بالسوء أن تدَعي المعاذير فيما مضى، والأماني فيما بقي، فيرد عليها معاذيرها وعللها وشبهاتها.

وأما القضاء، فإنه يحكم فيما أرادت من ذلك على السيئة بأنها فاضحة مردية موبقة، وللحسنة بأنها زائنة منجية مربحة.

وأما الإثابة والتنكيل، فإنه يسر نفسه بتذكر تلك الحسنات ورجاء عواقبها وتأميل فضلها، ويعاقب نفسه بالتذكر للسيئات والتبشع بها والاقشعرار منها والحزن عليها.

فأفضل الناس ذوي الألباب أشدهم لنفسه بهذا أخذاً (إلزام نفسه) وأقلهم عنها فيه فترة (تهاون وتقصير))(الأدب الصغير والأدب الكبير، ص52ـــ53).

يرسم ابن المقفع في هذا المقطع صورة عن ما يجب على المرء أن يعمله مع نفسه، بحسن قيادتها نحو الخير وأبعادها عن الشر باستخدام أساليب الثواب والعقاب المناسبة، حتى تنقاد له وتسير على الطريق الصحيح، ويتحكم فيها بدلاً عن تتحكم فيه.

الاتجاه الصوفي: يعنى هذا الاتجاه بتصفية النفس وتزكيتها عند بدايته، ثم تحول من حركة زهد تعتني بالعبادة وتقوم على المجاهدة إلى حركة فلسفية فكرية

الاتجاه الفلسفي: يعني هذا الاتجاه في الكشف عن الحقيقة على المنطق الصوري أو القياسي أو الاستدلالي البرهاني

وفي موضع آخر يذكر ابن المقفع لزوم إحصاء محاسن النفس ومساوئها، فيقول:

(وعلى العاقل أن يحصي على نفسه مساويها في الدين وفي الأخلاق وفي الآداب، فيجمع ذلك كله في صدره أو في كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصلاحه، ويوظف ذلك عليها توظيفاً من إصلاح الخلة والخلتين والخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر. فكلما أصلح شيئاً محاه، وكلما نظر إلى محو استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب.

وعلى العاقل أن يتفقد محاسن الناس ويحفظها على نفسه، ويتعهدها بذلك مثل الذي وصفنا في إصلاح المساوئ. وعلى العاقل أن لا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس، ما استطاع، إلا ذا فضل في العلم والدين والأخلاق فيأخذ عنه، أو موافقاً له على إصلاح ذلك فيؤيَد ما عنده، وإن لم يكن له عليه فضل. فإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين والمؤيدين. وليس لذي الفضل قريب ولا حميم أقرب إليه ممن وافقه على صالح الخصال فزاده وثبّته)(الأدب الصغير والأدب الكبير، ص54ــ55).

ويتحدث عن حاجات الجسد، وأهمية ما ينفعه ويضره فيقول:

(وأصل الأمر في إصلاح الجسد إلا تحمل عليه من المآكل والمشارب والباه إلا خفاقاً، وأن قدرت على أن تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع بذلك فهو أفضل)(اليتيمة، ص16).

ونختم بمقطع يتحدث فيه ابن المقفع عن أربع ساعات ضرورية للإنسان لا بد له منها لإصلاح نفسه في العاجل والآجل، حيث يقول:

(وعلى العاقل، ما لم يكن مغلوباً على نفسه، أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى أخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه في أمره، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون على الساعات الأخر، وإن استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل بلغة))(الأدب الصغير والأدب الكبير، ص55ــ56).

وتطبيق مبدأ الساعات الأربع يكفل للإنسان رسم معالم حياة سعيدة في الدنيا والآخرة.

للباحث أن يسلك منهجية تقوم على تقسيم القرون الهجرية إلى طبقات كل ثلاثة قرون طبقة

على العاقل مخاصمة نفسه ومحاسبتها والقضاء عليها والإثابة والتنكيل بها. أما المحاسب، فيحاسبها بما لها، فإنه لا مال لها إلا أيامها المعدودة التي ما ذهب منها لم يستخلف كما تستخلف النفقة، وما جعل منها في الباطل لم يرجع إلى الحق، فيتنبه لهذه المحاسبة عند الحول إذا حال (بن المقفع)

2-المحاسبـــــــــــــي (165ـ 243هـ):

هو أبوعبدالله الحارث بن أسد المحاسبي. ولد في البصرة عام 165هـــ. عرف بالمحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه، وقيل: كانت له حصى يعدها ويحسبها حالة الذكر. عاش في عصر تيارات فكرية مختلفة متصارعة كالقدرية والجهمية والمعتزلة إلى جانب أهل السنة والجماعة. وقد عرف عنه الزهد حتى أنه لم يرث من مال والده شيئاً لأنه يرى والده مات على مذهب باطل، وقال: أهل ملتين لا يتوارثان. عرف بالتصوف والزهد مع محاسبة النفس ، كما عرف بتمسكه بالسنة. له العديد من المؤلفات منها: الوصايا، المسائل في أعمال القلوب والجوارح، والمكاسب، والعقل، ومعاتبة النفس، وآداب النفوس، والرعاية لحقوق الله. وتوفي سنة 143هــ في بغداد.

يرسم ابن المقفع في هذا المقطع صورة عن ما يجب على المرء أن يعمله مع نفسه، بحسن قيادتها نحو الخير وأبعادها عن الشر باستخدام أساليب الثواب والعقاب المناسبة، حتى تنقاد له وتسير على الطريق الصحيح، ويتحكم فيها بدلاً عن تتحكم فيه

تحدث المحاسبي عن ضرورة تيقض الإنسان إلى مراقبة قلبه لينجو في الدنيا والآخرة فيقول:

(ثلاث خلال تلزمها قلبك:

الخلة الأولى: الإيمان بأن المقدور يأتي، وأن ما لم يقدر لا تناله، والغنى بالله. فمن ألزم قلبه ذلك أورثه ثلاث خصال: أحدها: أن يأمن قلبه أن يفوته ما قدر له. والثانية: أن ييأس أن ينال ما لم يقدر له. فمن ألزم قلبه أن رزقه لا يفوته، والإياس أن ينال ما لم يقدر له استغنى، وقل همه وخضوعه للخلق، والمدارة لهم، لأن ينال منهم منفعة، فهذا المستغنى عن غير الله.

الخلة الثانية: الحذر من الله تعالى أن يغفل فيزل، فيسقط من عينه، لأن الحذر يوقظه، والتيقظ يذكره، والذكر ينبهه، حتى يراقب مليكه.

والخلة الثالثة: ذكر اطلاع الله عليه في ضميره، وجوارحه، فإن ذلك يورثه الحياء من الله عز وجل. فإن عرض له شئ كرهه ربه ذكر النظر، وخاف المقت إن ركن إلى ذلك)(معاتبة النفس، ص34ــ36).

يرسم المحاسبي ما يصلح الإنسان والنفس الإنسانية فيقول:

(أعلم يا أخي أن الله جل ذكره قد افترض فرائض ظاهرة وباطنه، وشرع لك شرائع، دلك عليها، وأمرك بها، ووعدك على حسن أدائها جزيل الثواب، وأوعدك

على تضييعها أليم العقاب، رحمة لك، وحذرك نفسه شفقة منه عليك ... فإذا أنت عرفت الحق، فأقررت به، ودلك الحق على أن لله عليك من الفرائض الظاهرة فرضاً باطناً، هو: تصحيح السرائر، واستقامة الإرادة، وصدق النية، ومفاتشة الهمة، ونقاء الضمير، من كل ما يكره الله، وعقد الندم على جميع ما مضى من التَوائب بالقلب والجوارح على ما نهى الله عنه)(آداب النفوس، ص 32ـــ34).

ويؤكد حرص النفس على الدنيا ولزوم مقاومة هواها وتعليقها بالآخرة لتكون النتيجة النجاة والفوز، فيقول:

(فإذا قطع عليها العبد الطمع من أساب الدنيا، وغلب بعقله هواها، رجعت بطمعها إلى أساب الآخرة لا محالة، لأنها بنيت على الطمع ... فجدت في طلبها واجتهدت، وعزفت عن الدنيا، وباينت الهوى، وخالفت العدو، وتبعت العلم، وكانت مطبة للعقل، صابرة على ما يدل عليه الحق، فنجت وأنجت،) (آداب النفوس، ص39).

أصل الأمر في إصلاح الجسد إلا تحمل عليه من المآكل والمشارب والباه إلا خفافاً، وأن قدرت على أن تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع بذلك فهو أفضل (بن المقفع)

ويعرج المحاسبي على الشيطان وأنه أضر ما يكون على الإنسان والنفس الإنسانية فيقول:

(وإن إبليس إنما يسور عليك في الآثام من وسوسة نفسك، وخراب قلبك. وخرابه إنما يكون إذا كان فارغاً من الخوف اللازم، والحزن الدائم، فحينئذ ينفث فيه بالوسوسة لآمال الدنيا، والجمع لها، مخافة فقرها، مع لزوم طول الأمل لقلبك، وأعراضه عن الله تعالى، وانقطاع مواد عظمة الله منه، وفراغه من الهيبة والحياء منه. ... يرى العبد بنور قلبه مداخل إبليس، فيرميه بالإنكار لما يدعو إليه، ويعتصم بما أيده الله به من نور قلبه، فيدحره عنه، فولَي الخبيث إلى قلب قد فقد الخوف، فخرب وأظلم، فلا نور فيه)(آداب النفوس، ص 40ـــ41).

ويبين المحاسبي رغبة النفس الإنسانية بعاجل حظ الدنيا وغفلتها عن الآخرة فيقول:

(أن تعرف كيف بنيت في طبائعها وهيئتها. وكيف استثقالها لطريقة نجاتها من غير بغض للنجاة، ولكن كراهية لحمل المؤن، (وكراهية) لترك محبوبها من

عاجل الدنيا... هذا مع إقرارها بأن ثواب الآخرة وعقابها أعظم وأبقى، وأن محبوبات الدنيا ومكروهها دنئ فان)(المسائل في أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل، ص148).

ويؤكد المحاسبي أن الإنسان يلزم معرفة ربه وتحقيق العبودية من وجوده في هذه الدنيا فيقول:

(أن تعلم أنك عبد مربوب، لا نجاة لك إلا بتقوى سيدك جل وعز ومولاك، ولا هلكة عليك بعدها ... فإذا علمت ذلك أنه لا نجاة للمربوب المتعبد إلا بطاعة ربه ومولاه، وأن الدليل على طاعة ربه ومولاه عز وجل العلم ثم العمل بأمره ونهيه، في مواضعه وعلله وأسبابه، ولن يجد ذلك إلا في كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، لأن الطاعة سبيل النجاة، والعلم هو الدليل على السبيل. فأصل الطاعة: الورع، وأصل الورع: التقوى، وأصل التقوى: محاسبة النفس، وأصل محاسبة النفس: الخوف والرجاء. والدليل على محاسبة النفس: العلم بما تعبَد الله عز وجل به خلقه في قلوبهم وجوارحهم. وكذلك أهل الدنيا، لا يعالجون الأعمال، ولا يتكلفون التجارات، إلا ببصر قد تقدم منهم، وعلم بما يعملون، وبما يبتاعون ويبيعون)(الرعاية لحقوق الله، ص63ـــ64).

على العاقل، ما لم يكن مغلوباً على نفسه، أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى أخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه في أمره، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون على الساعات الأخر، وإن استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل بلغة (بن المقفع)

3-الجاحـــــــــــظ: (160 ــ 255هـ):

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني، الملقب بالجاحظ، لجحوظ عينيه أي بارزتين. ولد بالبصرة سنة 160هـــ في زمن الدولة العباسية وعاش وتعلم على علماءها، وكان شيخه في الاعتزال أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام. أطلع على كتب الفلاسفة والأطباء والمتكلمين، وأطلع على الثقافتين اليونانية والفارسية. أشتهر بالبلاغة وعمق الكتابة اللغوية، كما كتب عن كل ما تقع عليه حواسه من الحيوان والنبات والإنسان. له مؤلفات كثيرة تربو على مائة وخمسين مؤلفاً. لعل من أشهرها: الحيوان، والبخلاء، والبيان والتبيين، ودلائل النبوة، وكتاب الطفيليين، والفرق بين النبي والمتنبي. توفي بالبصرة سنة 255هـــ.

يتحدث الجاحظ عن الطبيعة الإنسانية المحتاجة للآخرين حتى تعيش لكونه صفة لازمة له فيقول:

(ثم أعلم ــ رحمك الله ــ أن حاجة بعض الناس إلى بعض صفة لازمة في طبائعهم، وخلقة قائمة في جواهرهم، وثابتة لا تزايلهم، ومحيطة بجماعاتهم، ومشتملة على أدناهم وأقصاهم ... ولم يسخَر لهم جميع خلقه إلا وهم يحتاجون إلى الارتفاق بجميع خلقه. وجعل الحاجة حاجتين: إحداهما قوام وقْوت، والأخرى لذة وإمتاع، وازدياد في الآلة، وفي كل ما أجذل النفوس وجمع لهم العتاد. وذلك المقدار من جميع الصنفين وفق لكثرة حاجاتهم وشهواتهم، وعلى قدر اتساع معرفتهم وبعد غورهم، وعلى قدر احتمال طبع البشرية، وفطرة الإنسانية)(تهذيب الحيوان، ج1،ص 6ــ7).

الإيمان بأن المقدور يأتي، وأن ما لم يقدر لا تناله، والغنى بالله. فمن ألزم قلبه ذلك أورثه ثلاث خصال: أحدها: أن يأمن قلبه أن يفوته ما قدر له. والثانية: أن ييأس أن ينال ما لم يقدر له. فمن ألزم قلبه أن رزقه لا يفوته، والإياس أن ينال ما لم يقدر له استغنى، وقل همه وخضوعه للخلق، والمدارة لهم، لأن ينال منهم منفعة، فهذا المستغنى عن غير الله

ويتحدث عن مزج الخير بالشر في الإنسان والكون كله فيقول:

(أعلم أن المصلحة في ابتداء أمر الدنيا إلى انقضاء مدتها، امتزاج الخير بالشر، والضار بالنافع، والمكروه بالسار، والضعة بالرفعة، والكثرة بالقلة. ولو كان الشر صرفاً هلك الخلق، أو كان الخير محضاً سقطت المحنة، وتقطعت أسباب الفكرة. ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة)(تهذيب الحيوان، ج1، ص 23).

يحذر الجاحظ من صفة نفسية سيئة هي البخل، وأنه يحتاج لمجاهدة النفس للتخلص منه فيقول:

(كعجبي ممن فد فطن إلى لبخله وعرف إفراط شحه، وهو في ذلك يجاهد نفسه ويغالب طبعه، ولربما ظن أن قد فطن له وعرف ما عنده، فموه شيئاً لا يقبل التمويه، ورقع خرقاً لا يقبل الرقع. فلو أنه كما فطن لعيبه وفطن لمن فطن لعيبه، فطن لضعفه عن علاج نفسه وتقويم أخلاطه، وعن استرجاع ما سلف من عاداته، وعن قلبه أخلاقه المدخوله إلى أن تعود سليمة، لترك تكلف ما لا يستطيعه ولربح الإنفاق على من يذمه، ولما وضع على نفسه الرقباء ... وأن كانت الحروب بينك وبين طباعك سجالاً وكانت أسبابكما أمثالاً وأشكالاً، أجبت الحزم إلى ترك التعرض وأجبت الاحتياط إلى رفع التكلف، ورأيت أن من حصل السلامة من الذم

فقد غنم، وأن من آثر الثقة على التغرير فقد حزم، وذكرت أنك إلى معرفة هذا الباب أحوج، وأن ذا المروة إلى هذا العلم أفقر)(البخلاء، ص 3ــ4).

ويقدم الجاحظ في كتابه المحاسن والأضداد وصفاً لعدد من أخلاق الإنسان بشكل أضداد مثل الشجاعة والجبن والصدق والكذب، وفي كل صفة يورد ما تيسر له من أحاديث نبوية شريفة أو قصص أو أبيات شعر تبين ما يريد من دعوة إلى خلق أو تحذير من آخر(المحاسن والأضداد).

ويقرر الجاحظ مجموعة من الأخلاق في تعامل الإنسان مع غيره عندما يكون يطلب شيئاً (وهو الآمل) أو يطلب منه شئ (وهو المأمول)ــ فيصف ذلك بقوله:

(على الآمل بل على الناس أجمعين صون الوجه عن المسألة ورجاء الله عز وجل واليأس من الناس، فإن اضطر إلى ذلك فالإجمال في الطلب والتلطف للمأمول بعد الوسيلة بدعاء يبعثه على الإسعاف، فإنت أخرت الحاجة فالتؤدة والرفق وتجنب العجلة والخرق، ثم الحث في الطلب والمخاطرة وترك التسويف والتواني، ثم حسن الاقتضاء، ثم استبطاء المواعيد، ثم الإلحاح والوعيد .وليس بعدهما إلا الشكر إن أسعف، ونشر صنيعته إن أولى، والحمد والمدح إن أنعم .وعليه أن لا يلوم مع العذر ويحتاج إلى ذم المستذم، ومن منع مع قدرةٍ فعليه التلطف في هذه المعاني، وليس عليه أن يساعده القدر .

وعلى المأمول أن لايماطل بعد الرغبة في اصطناع المعروف، ولقاء الآمل بالبشر، وترك التجهم، والإعطاء قبل المسألة، والمبادرة إلى قضاء الحاجة قبل فوت القدرة، وشكر السائل على إنبساطه، وإيضاح العذر إن تعذرت الحاجة، والتلطف في الاحتجاج بالمدافعة، وترك الوعد حتى يجد إنجازاً، واليأس قبل المطل، ومنع غير المستحق .وعليه أن لا يفسد الصنيعة بالمن إلا أن أكفره اوليها، وفي الآمل ذلة وحيرة)(الآمل والمأمول، ص2).

ويتحدث الجاحظ عن خصيصة من خصائص الإنسان وهي التصاقه بوطنه وتعلقه به فيقول:

الحذر من الله تعالى أن يغفل فيزل، فيسقط من عينه، لأن الحذر يوقظه، والتيقظ يذكره، والذكر ينبهه، حتى يراقب مليكه(المحاسبي)

ذكر اطلاع الله عليه في ضميره، وجوارحه، فإن ذلك يورثه الحياء من الله عز وجل. فإن عرض له شئ كرهه ربه ذكر النظر، وخاف المقت إن ركن إلى ذلك(المحاسبي)

(قالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقة. وقالت الهند: حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك ــ لأن غذاءك منهما وأنت جنين ــ وغذاءهما منه ... وقال آخر: تربة الصبا تغرس في القلب حرمة وحلاوة ــ كما تغرس الولادة في القلب رقة وحفاوة ... وقال آخر: عسرك في دارك أعز لك من يسرك في غربتك ... وقال بعض الفلاسفة: فطرة الرجل معجونة بحب الوطن)(الحنين إلى الأوطان، ص 7ــ10).

ويؤكد الجاحظ على أن من أول أولويات الإنسان معرفة الله وكيف خلق الإنسان في أحسن التقويم وما يترتب على ذلك من طاعة الله ثم يعلم ما علمه للآخرين لتعزيز الإيمان في النفوس ومقاومة الشيطان الذي يريد صرف الإنسان عن طاعة الله فيقول:

(فحق على من أنعم الله عليه بمعرفته ووقفه لتأمل هذه الخلقة والوقوف على ما في خلقها من لطف التدبير وصواب التقدير بالدلائل القائمة فيها أن لا تقصر في إظهار ما بلغه علمه من ذلك. بل يجهد في نشره وإذاعته وإيراده على المسامع والأذهان لتقوى دواعي الإيمان وتخييب مكيدة الشيطان في تضليل الوهم، محتسباً الثواب في ذلك واثقاً بعون الله وتأييده إياه)(الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، ص5).

إذا علمت ذلك أنه لا نجاة للمربوب المتعبد إلا بطاعة ربه ومولاه، وأن الدليل على طاعة ربه ومولاه عز وجل العلم ثم العمل بأمره ونهيه، في مواضعه وعلله وأسبابه

<u>تعليق:</u>

من خلال المقتطفات التي عرضناها لعلماء الطبقة الأولى يتبين أن أبن المقفع والحارث المحاسبي غلب على طرحهما الجانب الوعظي الذي يؤكد على محاسبة النفس لكي تتروض وتسير وفق ما أراد الله لها أن تكون عليه في هذه الحياة الدنيا، وضرورة ترغيب الإنسان بالآخرة وزهده بالدنيا وزخرفها، والتحذير من هوى النفس والشيطان المؤديان إلى هلاك الإنسان. بينما الجاحظ غلب على طرحه الجانب العقلي الذي يقارن بين الأمور والأخلاق وكيف أن على الإنسان أن يختار بعقله ما هو حسن ويترك ما هو قبيح من الأعمال والأخلاق. وكذلك كيفية تعامل الإنسان مع غيره في الأخذ والعطاء بطرق منطقية تحقق المطلوب لكونه جزء من وطن يتشارك الأفراد فيه محبة وعطاءً.

الطبقة الثانية: (301 ـ 600هـ):

1-أبـــن مسكويـــة (325 ـ 421هـ):

هو أحمد بن محمد بن يعقوب مسكوية، ولد بالري سنة 325هـ. وهو مؤرخ بحاثة، أصله من الري وسكن أصفهان وتوفي بها. اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق مدة، ثم أولع بالتأريخ والأدب. عمل خازن لمكتبة ابن العميد واستفاد منها الكثير. له العديد من المؤلفات منها: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، والفوز الأصغر، وترتيب السعادة، وتجار الأمم. وتوفي في أصفهان سنة 421هـ.

يبين ابن مسكوية أن النفس البشرية ليست جسماً ولا جزءاً من جسم فيقول:

(إنا لما وجدنا في الإنسان شيئاً ما يضاد أفعال الأجسام وأجزاء الأجسام بحده وخواصه، وله أيضا تضاد أفعال الجسم وخواصه، حتى لا يشاركه في حال من الأحوال. وكذلك نجده يباين الأعراض ويضادها كلها غاية المباينة. ثم وجدنا هذه المباينة والمضادة منه للأجسام والأعراض إنما هي من حيث كانت الأجسام أجساماً والأعراض أعراضاً، حكمنا بأن هذا الشئ ليس بجسم ولا جزءاً من جسم ولا عرض، وذلك أنه لا يستحيل ولا يتغير، وأيضاً فإنه يدرك جميع الأشياء بالسوية ولا يلحقه فتور ولا كلال ولا نقص ... وأيضاً فإن تشوقها إلى ما ليس من طباع البدن وحرصها على معرفة حقائق الأمور الإلهية وميلها إلى الأمور التي هي أفضل من الأمور الجسمية، وإيثارها لها وانصرافها عن الأمور واللذات الجسمانية، يدلنا دلالة واضحة أنها جوهر أعلى وأكرم جداً من الأمور الجسمانية لأنه لا يمكن في شئ من الأشياء أن يتشوق ما ليس من طباعه وطبيعته، ولا أن ينصرف هما يكمل ذاته، ويقوم جوهره) (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص29ـ31).

ويتحدث ابن مسكوية عن خطأ الحواس وأن الذي يقرر هذه هو النفس فيقول:

(وأيضاً فإن الحواس تدرك المحسوسات فقط، وأما النفس فإنها تدرك أسباب الاتفاقات وأسباب الاختلافات التي من المحسوسات، وهي معقولاتها التي لا

الطاعة سبيل النجاة، والعلم هو الدليل على السبيل. فأصل الطاعة: الورع، وأصل الورع: التقوى، وأصل التقوى: محاسبة النفس، وأصل محاسبة النفس: الخوف والرجاء. والدليل على محاسبة النفس: العلم بما تعبَد الله عز وجل به خلقه في قلوبهم وجوارحهم.

تستعين عليها بشئ من الجسم ولا آثار الجسم. وكذلك إذا حكمت على الحس أنه صدق أو كذب فليست تأخذ هذا الحكم من الحس، لأن الحس لا يضاد نفسه في ما يحكم فيه. ونحن نجد النفس العاقلة فينا تدرك شيئاً كثيراً من خطأ الحواس في مبادئ أفعالها وترد عليها إحكامها. من ذلك أن البصر يخطئ في ما يراه من قرب ومن بعد ... فإذن علمها بأنها علمت ليس بمأخوذ من علم آخر البتة، بل هو من ذاتها وجوهرها، أعني العقل) (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص32ــ33).

ويبين ابن مسكوية أن للنفس ثلاث قوى (فكرية وغضبية وشهوية) فيقول:

(وقد تبين للناظر في أمر هذه النفس وقواها، أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام، أعني:

(القوة) التي بها الفكر والتمييز والنظر في حقائق الأمور.

(والقوة) التي بها يكون الغضب والنجدة، والإقدام على الأهوال والشوق إلى التسلط والترفع، وضروب الكرامات.

(والقوة) التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق إلى الملاذ، التي في المآكل والمشرب والمناكح وشروب اللذات الحسية، وهذه الثلاث متباينة. ويعلم من ذلك أن بعضها أذا قوي أضر بالآخر، وربما أبطل إحداهما فعل الأخرى، وربما جعلت نفوساً وربما جعلت قوى لنفس واحدة)((تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص37).

ويتحول ابن مسكوية إلى أخلاق الإنسان وأن منها ما هو طبعي وراثي ومنها ما هو مكتسب فيقول:

(الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية. وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:

منها ما يكزن طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شئ نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من إيسر شئ كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر سمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شئ يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شئ يناله. ومنها مل يكون

أعلم أن المصلحة في ابتداء أمر الدنيا إلى انقضاء مدتها، امتزاج الخير بالشر، والضار بالنافع، والمكروه بالسار، والضعة بالرفعة، والكثرة بالقلة. ولو كان الشر صرفاً هلك الخلق، أو كان الخير محضاً سقطت المحنة، وتقطعت أسباب الفكرة. ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة (الجاحظ)

مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدوءه الفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكه وخلقاً)((تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص51).

ويتحدث عن إكساب الطفل الأخلاق الحسنة عن طريق القدوة ومدح أعمال الطفل الحسنة فيقول:

(فالأولى بمثل هذه النفس أن تنبه أبداً على حب الكرامة، ولا سيما ما يحصل له منها بالدين دون المال، وبلزوم سننه ووظائفه، ثم يمدح الأخيار عنده ويمدح هو في نفسه إذا ظهر شئ جميل منه، ويخوف من المذمة على أدنى قبيح يظهر منه، ويؤاخذ باشتهائه للمآكل والمشارب والملابس الفاخرة، ويزين عنده خلف النفس والترفع عن الحرص في المآكل خاصة واللذات عامة)((تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص70).

ويذكر ابن مسكوية إصابة الإنسان بالأمراض النفسية كما يصاب بالأمراض الجسمية، فيقول:

(وذلك إنا كما نرى المريض من جهة بدنه لا سيما أن كان سبب أمراضه أحد الجزأين الشريفين، أعني الدماغ والقلب، يتغير عقله ويمرض حتى ينكر ذهنه وفكره وتخيله وسائر قوى نفسه الشريفة، ويحس هو من نفسه بذلك. كذلك أيضاً نرى المريض من جهة نفسه إما بالغضب وإما بالحزن، وإما بالعشق وإما بالشهوات الهائجة، به تتغير صورة بدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر ويحمر ويهزل ويسمن، ويلحقها ضروب التغير المشاهدة بالحس)((تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص151).

ويتحدث أبن مسكوية عن السعادة فيقول:

(ولما نظروا في غاية الإنسان وكماله الأقرب وجدوا الناس مختلفين ورأوهم مع اختلافهم لا يشكون في أن لهم غاية وإنما اختلافهم في أي الغايات هي وكل واحد منهم قد نصب غاية لنفسه يقصدها بسعيه ويسميها سعادة له، كمن يسعى للذة أو للثروة أو للصحة أو للغلبة أو للعلم وإنما أتوا في هذا الاختلاف من قبل أنهم لم يلحظوا الكمال البعيد أنى السعادة القصوى)(السعادة ص41).

ونختم بعبارة لأبن مسكوية حول سعادة الإنسان بارتفاعه وقربه من الله وشقاوته بنزوله وبعده عن الله فيقول:

أن كانت الحروب بينك وبين طباعك سجالاً وكانت أسبابكما أمثالاً وأشكالاً، أجبت الحزم إلى ترك التعرض وأجبت الاحتياط إلى رفع التكلف، ورأيت أن من حصل السلامة من الذم فقد غنم، وأن من آثر الثقة على التغرير فقد حزم، وذكرت أنك إلى معرفة هذا الباب أحوج، وأن ذا المروة إلى هذا العلم أفقر (الجاحظ)

(أن للنفس جهتين من الحركة: إحداهما نحو ذاتها وهي التي تحركها نحو العقل الذي هو أول مبدع لله تعالى، والذي لا تنقطع مادة مباديه بوجه ولا سبب، والأخرى نحو الآلات الطبيعية لتكمل الأجرام الهيولانية، علم أن أحدى الجهتين هي التي تسوقها إلى سعادتها وبقائها اللائق بها، والأخرى هي التي تحطها وتخرجها عن ذاتها ... وبالجملة فإن الجهة الأولى من الحركة كلما أمعنت فيها النفس توحدت بها، وتداخلت إلى ذاتها، ونوجهت نحو باريها ومبدعها الواحد الذي به وجدت الوحدة في كل موجود وبه دام البقاء السرمد لما دام. وأما الجهة الأخرى من الحركة كلما أمعنت فيها تشبثت بها وتكثرت، وخرجت بها عن ذاتها، وحفَها من الشقاء ما تقتضيه هذه الحال)(الفوز الأصغر، ص63 ــ64).

حق على من أنعم الله عليه بمعرفته ووفقه لتأمل هذه الخلقة والوقوف على ما في خلقها من لطف التدبير وصواب التقدير بالدلائل القائمة فيها أن لا تقصر في إظهار ما بلغه علمه من ذلك. بل يجهد في نشره وإذاعته وإيراده على المسامع والأذهان لتقوى دواعي الإيمان وتخييب مكيدة الشيطان في تضليل الوهم، محتسباً الثواب في ذلك واثقاً بعون الله وتأييده إياه (الجاحظ)

2-أبـــوحامـــد الغزالـــــي: (450ـ 505هـ):

هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبوحامد. ولد في الطابران (من مدن طوس بخراسان) عام 450هـــ. في عصر انتشرت فيه الفتن الدينية والسياسية، في بداية حياته تتلمذ على عدد من المتصوفين في طوس، وعند بلوغه سن العشرين بدأ الترحل إلى جرجان ثم نيسابور ثم بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر. وأخيراً عاد إلى بلدته طوس وأتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء والصوفية حتى وفاته. وقد تنقل بين الصوفية والفلسفة ثم العناية بالسنة، وقيل أنه توفي وصحيح البخاري على صدره. له مؤلفات كثيرة، منها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، والمنقذ من الضلال، والتبر المسبوك في نصائح الملوك، والقسطاس المستقيم، وكيمياء السعادة، ومنهاج العابدين، توفي بطوس سنة 505هـــ.

يعتبر كتاب إحياء علوم الدين أشهر كتب أبوحامد الغزالي، وفيه تصور لكل ما يحتاجه الإنسان في هذه الحياة، في أربعة أرباع هي العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات فيقول:

(ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب: كتاب العلم، وكتاب قواعد العقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب أسرار الصلاة، وكتاب أسرار الزكاة، وكتاب

أسرار الصيام، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرآن، وكتاب الأذكار والدعوات، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات.

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب، وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة.

وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفات الشهوتين: شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد، وكتاب ذم الدنيا، وكتب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء، وكتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغرور.

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب التوبة، وكتاب الصبر والشكر، وكتاب الخوف والرجاء، وكتاب الفقر والزهد، وكتاب التوحيد والتوكل، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، وكتاب النية والصدق والإخلاص، وكتاب المراقبة والمحاسبة، وكتاب التفكر، وكتاب ذكر الموت)(إحياء علوم الدين، ج1، ص 2ـــ3).

وهذه العناوين شملت كل ما يحتاجه الإنسان ليسير في هذه الحياة الدنيا على هدى وصلاح ويفوز بالآخرة بالجنة والنعيم، متى ما طبق ما ورد في هذا الكتاب.

ويتناول أبوحامد الغزالي القلب والروح والنفس والعقل بشرح وتفصيل طويل، ويمكن الخروج بخلاصته فيما يلي:

(القلب يشير إلى أعمق الأفكار وأبعدها غوراً في طبيعة الإنسان وهو المسئول تجاه الله وهو الذي يخاطب ويحاسب، وتبدو الشهوات غريبة عن هذا القلب، وعلاقته بالقلب الجسماني علاقة معنوية لا مادية.

أما الروح فإنها تدل أيضاً على هذه اللطيفة الإلهية، ولها بالجسم تعلق بواسطة الروح الحيواني، وهي المرجع الأعلى للمعرفة والمسئولة عن ومضات الرؤية والكشف، عندما يتحرر الإنسان من كل شعور محسوس.

إن الحواس تدرك المحسوسات فقط، وأما النفس فإنها تدرك أسباب الاتفاقات وأسباب الاختلافات التي من المحسوسات، وهي معقولاتها التي لا تستعين عليها بشيء من الجسم ولا آثار الجسم (ابن مسكويه)

نجد النفس العاقلة فينا تدرك شيئاً كثيراً من خطأ الحواس في مبادئ أفعالها وترد عليها إحكامها. من ذلك أن البصر يخطئ في ما يراه من قريب ومن بعد ... فإذن علمها بأنها علمت ليس بمأخوذ من علم آخر البتة، بل هو من ذاتها وجوهرها، أعني العقل (ابن مسكويه)

والنفس مرتبطة بالتنفس وباللذات والشهوات الدنيوية وتكون على ثلاثة أحوال: مطمئنة أو لوامة أو أمارة.

أما العقل فإنه يدل على نوع المعرفة وعلى المستوى العقلي لتطور الإنسان)(العثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ص66).

ويرسم أبوحامد الغزالي العقبات التي يمكن أن تعترض الإنسان في عبادته فيقول:

(فهذا الترتيب الذي ألهمني مولاي في طريق العبادة. فأعلم الآن بتوفيق الله أن الحاصل من الجملة سبع عقبات الأولى عقبة العلم، الثانية عقبة التوبة، الثالثة عقبة العرائق عقبة العوارض، الخامسة عقبة البواعث، السادسة عقبة القوادح، السابعة عقبة الحمد والشكر)(منهاج العابدين، ص20).

ونختم بتناول أبوحامد الغزالي لسلوك إنساني رفيع وهو العدل والإحسان إلى الخلق حيث يقول:

(وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً، والعدل سبب النجاة فقط، وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال. والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة، وهو يجرى من التجارة مجرى الربح، ولا يعد من الغفلاء من قنع من الدنيا برأس ماله، فكذا في معاملات الآخرة، فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان، وقد قال الله ((وأحسن كما أحسن الله إليك)) وقال عز وجل ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان)) وقال سبحانه ((إن رحمت الله قريب من المحسنين)) ونعني بالإحسان: فعل ما ينتفع به المعامل، وهو غير واجب عليه، ولكنه تفضل منه، فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم)(إحياء علوم الدين، ج2، ص79).

3-أبــن الجـــــوزي: (510ـ597هـ):

هو أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، وهوعربي قرشي يتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولد ببغداد سنة 510هـــ. نشأ يتيماً حيث توفي والده وعمره ثلاث سنين، حفظ القرآن الكريم صغيراً، وسمع الحديث، وتعلم اللغة والأدب والتاريخ، وتمرن على الوعظ. وقد مكنه نبوغه من أن

إنا كما نرى المريض من جهة بدنه لا سيما أن كان سبب أمراضه أحد الجزأين الشريفين، أعني الدماغ والقلب، يتغير عقله ويمرض حتى ينكر ذهنه وفكره وتخيله وسائر قوى نفسه الشريفة، ويحس هو من نفسه بذلك (ابن مسكوية)

نرى المريض من جهة نفسه إما بالغضب وإما بالحزن، وإما بالعشق وإما بالشهوات الهائجة، به تتغير صورة بدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر ويحمر ويهزل ويسمن، ويلحقها ضروب التغير المشاهدة بالحس (ابن مسكوية)

يتصدى للوعظ وهو لم يصل سنة العشرين سنة 527هـ. وأستمر في التدريس والوعظ والكتابة، حيث بلغت مؤلفاته ما ربو على المائتين، ومنها: ذم الهوى، وصيد الخاطر، والعزلة، والمدهش، والطب الروحاني، والثبات عند الممات، ورسالة إلى ولدي، وتلبيس إبليس، والأذكياء، والشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، توفي في بغداد سنة 597هـ.

القلب هو أهم ما في الجسد بصلاحه تصلح باقي الأعضاء وبفساده تفسد ، وهو في الأصل سليم على الفطرة ، ولكن يأتيه الخلل والصدأ من الذنوب والمعاصي التي تفسد عليه صفاءه وسلامته فيصبح لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً . ولكن يمكن علاج صدأ القلب . يقول ابن الجوزي:

(اعلم أن القلب في أصل الوضع سليم من كل آفة ، والحواس الخمس توصل إليه الأخبار فترقم في صفحته . فينبغي أن يستوثق من سد الطرق التي يخشى عليه منها الفتن ، فإنه إذا اشتغل بشيء منها أعرض عما خلق له من التعظيم للخالق والفكر في المصالح ، ورب فتنة علق به شباها ، فكانت سبباً في هلاكه ... عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللَّـــه ε : ((إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكر اللَّـــه Y في كتابه : ((كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)) (المطففين : 14) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ... وقال يحيى ابن معاذ : سقم الجسد بالأوجاع ، وسقم القلوب بالذنوب ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه ، فكذلك القلب لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب ... عن ابن عمر قال : قال رسول اللَّـــه ε : ((إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد . قيل : يا رسول اللَّـــه ، فما جلاؤها ؟ قال : تلاوة القرآن)) ... إبراهيم الخواص يقول : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين)(ذم الهوى، ص56ـ63) .

يؤكد ابن الجوزي على أن التقوى أهم ركائز حياة المسلم في هذه الدنيا ، فهي حفظ له في الدنيا والآخرة . والتقوى المطلوبة هي التقوى الصحيحة القائمة على الالتزام بما جاء في كتاب اللَّـــه وسنة رسول الله ε من العقيدة الصحيحة التي

أن للنفس جهتين من الحركة: إحداهما نحو ذاتها وهي التي تحركها نحو العقل الذي هو أول مبدع لله تعالى، والذي لا تنقطع مادة مباديه بوجه ولا سبب، والأخرى نحو الآلات الطبيعية لتكمل الأجرام الهيولانية، علم أن أحدى الجهتين هي التي تسوقها إلى سعادتها وبقائها اللائق بها، والأخرى هي التي تحطها وتخرجها عن ذاتها (ابن مسكوية)

قوامها التوحيد والأقوال والأعمال التي نقلت عن رسول اللَّــه ع بالأسانيد الصحيحة . ونتاج صحة التقوى رؤية الخير في كل الأمور الدينية والدنيوية . قال ابن الجوزي : (يا بني : ومتى صححت التقوى ، رأيت كل خير ، فالمتقي لا يرائي الخلق ، ولا يتعرض لما يؤذي دينه ، ومن حفظ حدود اللَّــه حفظ)(رسالة إلى ولدي، رسالة في الحث على طلب العلم، ص35).

كما يبين ابن الجوزي لابنه أن من أكثر الكنوز قيمة طاعة اللَّــه والابتعاد عن معصيته وحدوده والحذر من هوى النفس الأمارة بالسوء ، ففي ذلك السعادة (واعلم يا بني أن أوفى الذخائر : غض طرف عن محرم ، وإمساك فضول كلمه ، ومراعاة حد ، وإيثار اللَّــه تعالى على هوى النفس(رسالة إلى ولدي، رسالة في الحث على طلب العلم، ص36ــ37) .

ويؤكد أبن الجوزي أن السعادة بمخالفة الهوى وترك الدنيا فيقول:

(وما سعد من سعد إلاّ بمخالفة هواه ، ولا شقي من شقي إلاّ بإيثار دنياه)((رسالة إلى ولدي، رسالة في الحث على طلب العلم، ص21).

كما ينقل ابن الجوزي أثراً عن ذا النون يبين فيه خمس خصال إذا توفرت في المسلم كان من أهل السعادة في هذه الحياة الدنيا ، وإن كان توفر هذا الخصال قبل ساعات معدودة من موته .

(أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبدالباقي ... سمعت ذا النون يقول : من وجدت فيه خمس خصال رجيت له السعادة ولو قبل موته بساعتين ، قيل : ما هي ؟ قال : استواء الخلق ، وخفة الروح ، وغزارة العقل ، وصفاء التوحيد ، وطيب المولد)(الأذكياء، ص14).

ويشير ابن الجوزي إلى علامات العقل عند الإنسان ، وعند تفحص هذه العلامات نجد أنها مما يتزين به المسلم التقي الصحيح في نفسه .

(يستدل على عقل العاقل بسكوته وسكونه وخفض بصره وحركاته في أماكنها اللائقة بها ومراقبته للعواقب فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر ، وتراه ينظر في القضاء فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل ، ويترك ما يخاف ضرره ويستعد لما يجوز وقوعه)(الأذكياء، ص14)

القلب يشير إلى أعمق الأفكار وأبعدها غوراً في طبيعة الإنسان وهو المسئول تجاه الله وهو الذي يخاطب ويحاسب، وتبدو الشهوات غريبة عن هذا القلب، وعلاقته بالقلب الجسماني علاقة معنوية لا مادية (الغزالي)

أما الروح فإنها تدل أيضاً على هذه اللطيفة الإلهية، ولها بالجسم تعلق بواسطة الروح الحيواني، وهي المرجع الأعلى للمعرفة والمسئولة عن ومضات الرؤية والكشف، عندما يتحرر الإنسان من كل شعور محسوس (الغزالي)

النفس مرتبطة بالتنفس وباللذات والشهوات الدنيوية وتكون على ثلاثة أحوال: مطمئنة أو لوامة أو أمارة (الغزالي)

كما يدعو ابن الجوزي إلى التمسك بالتقوى وأنها أصل السلامة والسعادة في الدنيا والآخرة:

(اعلم أن الزمان لا يثبت على حال كما قال Y : ((وتلك الأيام نداولها بين الناس)) ، فتارة فقر وتارة غنى ، وتارة عز وتارة ذل ، وتارة يفرح الموالي وتارة يشمت الأعادي ، فالسعيد من لازم أصلاً واحداً على كل حال ، وهو تقوى اللّـــه Y فإنه إن استغنى زانته ، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر ، وإن عوفي تمت النعمة عليه ، وإن ابتلي حملته ، ولا يضره أن نزل به الزمان أو صعد ، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه ، لأن جميع تلك تزول وتتغير ، والتقوى أصل السلامة حارس لا ينام ، يأخذ باليد عند العثرة ، ويواقف على الحدود ، والمنكر من غرته لذة حصلت مع عدم التقوى فإنها ستحول وتخليه خاسراً ، ولازم التقوى في كل حال فإنك لا ترى في الضيق إلاّ السعة ، وفي المرض إلاّ العافية ، هذا نقدها العاجل والآجل معلوم)(صيد الخاطر، ص123).

أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً، والعدل سبب النجاة فقط، وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال. والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة، وهو يجرى من التجارة مجرى الربح، ولا يعد من العقلاء من قنع من الدنيا برأس ماله (الغزالي)

ولا شك أن اتباع هدى اللّـــه ورسوله محمد ε هو السعادة الحقيقية فلا يصيب المسلم شقاء ولا تعاسة بل سعادة وصحة ونعمة ، ومدار ذلك التقوى . وهذا ما يؤكده ابن الجوزي في النص التالي : (تأملت قوله تعالى : ((فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى)) قال المفسرون : هداي رسول اللّـــه ε وكتابي . فوجدته على الحقيقة أن كل من تبع القرآن والسنة وعمل بما فيهما ، فقد سلم من الضلال بلا شك . وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك ، إذا مات على ذلك . وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقي أصلاً . ويبين هذا قوله تعالى : {ومن يتق اللّـــه يجعل له مخرجاً} . فإن رأيته في شدة فله من اليقين بالجزاء ما يصير الصاب عنده عسلاً ، والأغلب طيب العيش في كل حال ، والغالب أنه لا ينزل به شدة إلاّ إذا انحرف عن جادة التقوى . فأما الملازم لطريق التقوى فلا آفة تطرقه ، ولا بلية تنزل به ، هذا هو الأغلب)صيد الخاطر، ص123).

تعليـــــــــــق:

مما أقتبسنا من مقتطفات من كلام علماء الطبقة الثانية يتبين أنهم تناولوا الإنسان والنفس الإنسانية بطريقة متقاربة تنم عن معرفة بهذه النفس قائمة على أصول الكتاب والسنة، مع تأثر ابن مسكوية بكلام الفلاسفة بدرجة بسيطة.

ويحسب لهم الدخول في تفاصيل تسعى للتعرف على مكونات هذه النفس وأقسامها أو حالاتها: مطمئنة أو لوامة أو إمارة بالسوء، والوضوح في هذا الطرح من خلال نصوص القرآن الكريم التي يتضح منها أنها نفس واحدة تكون مطمئنة كلما اقتربت كثيراً من ربها بحسن طاعته وتقواه، وتكون لوامة كلما كانت مراوحة بين الطاعة والمعصية، وتكون إمارة بالسوء إذا كانت منغمسة بالمعاصي والذنوب غافلة عن التوبة والأوبة إلى ربها. وكذلك وضح التأكيد على ابعد الأخروي وأثره على الإنسان والنفس الإنسانية، وهذه ميزة لا نجدها لدى الباحثين الغربيين عندما يتناولون الإنسان.

اعلم أن القلب في أصل الوضع سليم من كل آفة ، والحواس الخمس توصل إليه الأخبار فترقم في صفحته . فينبغي أن يستوثق من سد الطرق التي يخشى عليه منها الفتن ، فإنه إذا اشتغل بشيء منها أعرض عما خلق له من التعظيم للخالق والفكر في المصالح ، ورب فتنة علق به شباها ، فكانت سبباً في هلاكه (ابن الجوزي)

ثالثـــاً: الطبقـــة الثالثـــة (601 ـ900):

1-فخــر الديــن الــــرازي (543 ـ606هـ):

هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي، الملقب بفخر الدين، وينسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولد بالرى سنة 543هـ. تلقى العلم عن أبيه وكان خطيب الرى، وبعد وفاة أبيه تنقل بين العلماء يتلقى منهم مثل الكمال السمعاني ومجدالدين الجيلي. وكان فترة على مذهب الجبائي لكنه رجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة. وكان عالماً بالفقه وعلوم اللغة والمنطق والمذهب الكلامية والطب والحكمة. وكان ينظم الشعر بالعربية والفارسية. وكان صاحب مواعظ بليغة مؤثرة، كما حصل على ثروة مالية في حياته جعلته يظهر بصورة الأثرياء. له مؤلفات كثيرة منها: يسألونك عن الروح، والنفس والروح، الأربعين في أصول الدين، وسراج القلوب، وزبدة الأفكار وعمدة النظار، مسائل الطب، رسالة في النبوات. توفي سنة 606هـ.

يناقش فخرالدين الرازي عمل عقل الإنسان وأنه لا يقبل إلا ما يعقله فيقول:

(العدم المطلق لا يصح أن بعقل ويعلم. وإنما يعقل العدم بناءً على فهم الوجود، محققاً أو مفروضاً، مضافاً إليه الانتفاء. فإن أخذ الانتفاء والعدم مطلقاً غير مخصص بجنس؛ فإنما يعقل مضافاً إلى مطلق الوجود ومرتباً عليه. فأول ما يحصل في نفس الإنسان ويدخل في ذهنه ويتصوره: هو الوجود، ثم انتفاء ذلك

الوجود المتصور أو المحقق: هو العدم. مثل قولنا: وجود ولا وجود)(الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل، ص149).

ويقدم فخرالدين الرازي قانوناً عقلياً للإنسان حتى يحكم على الصفات التي وردت لله وتوجد لدى الإنسان فيقول:

(وهو أن القانون الكلي في أمثال هذه الصفات : أن كل صفة تثبت للعبد مما يختص بالأجسام. إذا وصف الله تعالى بذلك ، فهو محمول على نهايات الأغراض ، لا على بدايات الأعراض . مثاله : أن الحياء حالة تحصل للإنسان ، ولها مبدأ ونهاية . أما البداية فيها فهو التغير الجسماني ، الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إلى القبيح . وأما النهاية فهي لأن يترك الإنسان ذلك الفعل ، فإذا ورد الحياء في حق الله تعالى ، فليس المراد منه : ذلك اللحوق الذي هو مبدأ الحياء وتقدمته. بل المراد : هو ترك الفعل الذي هو منتهاه وغايته . وكذلك الغضب له مبدأ وهو غليان دم القلب وشهوة الانتقام ، وله غاية وهو إيصال العقاب إلى المغضوب عليه . فإذا وصفنا الله تعالى بالغضب ، فليس المراد هو ذلك المبدأ – أعني غليان دم القلب وشهوة الانتقام – بل المراد : تلك النهاية ، وهي إنزال العقاب . فهذا هو القانون)(أساس التقديس،ص127).

ويقدم فخر الدين الرازي إجابة عن حقيقة روح الإنسان فيقول:

(فأجاب الله عنه بأنه موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الأعراض، وذلك لأن هذه الأجسام أشياء تحدث من امتزاج الأخلاط والعناصر. وأما الروح فإنه ليس كذلك، بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث قوله ((كن فيكون)).. فقالوا: لم كان شيئاً مغايراً لهذه الأجسام ولهذه الأغراض؟ فأجاب الله عنه: بأنه موجود يحدث بأمر الله، وتكوينه وتأثيره في إفادة الحياة لهذا الجسد، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه، فإن أكثر حقائق الأشياء وماهياتها مجهولة)(يسألونك عن الروح، ص22).

ويتناول فخر الدين الرازي مكون خلق الإنسان فيقول:

(أما تخليق البشر، فإنه يدل على كمال الجود والرحمة. أما كمال الجود فلأنه لا مناسبة بين التراب، وبين جلال رب الأرباب. ثم أن الحق برحمته التامة وجوده الكامل، جعل التراب صفة الذرَة الحاملة للأضواء الإلهية والأنوار الصمدية.

قال يحيى ابن معاذ : سقم الجسد بالأوجاع ، وسقم القلوب بالذنوب ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه ، فكذلك القلب لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب

دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين

وأما كمال الرحمة، فلأنه مع أنه مركب من الشهوة والغضب والأخلاق الذميمة، أودع قلبه نور العرفان، وعلى لسانه ذكر التوحيد، وجعل عينيه طريقاً لرؤية دلائله، وأذنيه محلاً لسماع كلامه) (النفس والروح، ص34).

ويتحدث فخرالدين الرازي عن مركبات بدن الإنسان فيقول:

(لا شك أن بدن الإنسان مركب وكل مركب فلا بد له من علل أربع وهي: المادة والصورة والفاعل والغاية. فالمادة القريبة لبدن الإنسان هو العضو، والروح، وأبعد منها الأخلاط الأربعة وأبعد منها الأركان. وأما الصورة الحاصلة للبدن الإنساني فهي الأمزجة والقوى. وأما الغاية فهي الأفعال المطلوبة من تلك القوى. وأما الفاعل فالمراد منه ههنا الأمر الذي متى ما كان على القدر المعتدل كان الحاصل هو الصحة، ومتى كان خارجاً عن الاعتدال كان الحاصل هو المرض، وهو المسمى عند الأطباء بالأسباب الستة الطبيعية وهي: جنس الهواء وجنس المتناولات وجنس النوم واليقظة وجنس الحركة والسكون وجنس الاستفراغ والاحتقان وجنس الأعراض النفسانية)(الفراسة، ص98ــ99).

ويتناول فخر الدين الرازي الأمزجة وارتباطها بالأعضاء عند الإنسان وتقسيماتها وما ينتج عنها فيقول:

(أعلم أن كل عضو من أعضاء البدن إما أن يكون حاراً أو يكون بارداً: فإن كان حاراً فإما أن تكون تلك الحارة معتدلة أو زائدة. فإن كانت الحرارة معتدلة أفادت الكمال وإن كانت زائدة أفادت الاختلال بحسب التشوش.

وأما إن كان بارداً فإن كان البرد قليلاً فإنه يوجب النقصان وإن كان كثيراً يوجب البطلان ...

أما الأفعال النفسانية فكلما كانت القوى أكمل فيه وأتم كانت أفضل ... إن الكمال في جميع القوى الباطنة كالمتعذر، وذلك لأن الرطوبة معينة على سهولة الفكر ومانتعة من قوة الحفظ، واليبوسة بالضد وأبضاً الرطوبة مانعة من صفاء الحواس، فكيف يمكن حصول الكمال في كل هذه الأحوال. بل إن قلنا إن النفس في هذه الأفعال قد تكون غنية عن الآلآت الجسمانية فحينئذً يستقيم هذا الكلام) (الفراسة، ص121ــ127).

التقوى أهم ركائز حياة المسلم في هذه الدنيا ، فهي حفظ له في الدنيا والآخرة (ابن الجوزي)

يستدل على عقل العاقل بسكوته وسكونه وخفض بصره وحركاته في أماكنها اللائقة بها ومراقبته للعواقب فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر ، وتراه ينظر في القضاء فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل ، ويترك ما يخاف ضرره ويستعد لما يجوز وقوعه (ابن الجوزي)

2- أبـــــن تيميـــــــة: (660ـ 728هـ)

هو تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس بن تيمية . ولد في مدينة حران عام 661هـ . ينحدر من عائلة علم. غادر ابن تيمية مع والديه وأخوته مدينة حران عام 667هـ هرباً من الهجمات المغولية ، واستقرت الأسرة في مدينة دمشق ، حيث تسلم والده مشيخة المدرسة السكرية ، وفيها بدأ الطفل ابن تيمية دراسته واشتهر بقوة حفظه وذكائه . فقد حفظ القرآن الكريم والحديث وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل عدة مرات ، ثم أخذ يتنقل بين مختلف شيوخ الحديث حتى روى أنه جلس إلى حوالي مائتين من حفاظ الحديث. بدأ ابن تيمية عمله في التدريس عام 683هـ بدار الحديث السكرية بدمشق نيابة عن والده وهو في سن 22 سنة .كما تسلم ابن تيمية منصب التدريس في أكبر مدرسة حنبلية في القاهرة لثلاث سنوات خلال الأعوام 709 – 712هـ ثم عاد إلى دمشق ليعمل في التدريس بقية حياته فيها. وقد تميز ابن تيمية بصدور أفكاره وثقافته عن مؤهلات متميزة تجاوز بها حدود الانتماء المذهبي إلى دائرة الانتماء الإسلامي الواسع الذي يضم في دائرته الأئمة والمدارس الفكرية ، وارتقى إلى مرتبة الاجتهاد والاعتماد المباشر على القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف الصالح . وقد لقي في سبيل دعوته الإصلاحية المشاق والعذاب حيث أدخل السجن ست مرات على فترات متقطعة بلغ مجموعها ست سنوات في الفترة الواقعة بين عامي 693 – 728هـ . وآخر مرة سجن فيها كان في 16 شعبان عام 726هـ وذلك بسبب مهاجمة ابن تيمية في فترة سابقة (710هـ) زيارة أضرحة الأنبياء والأولياء . وقد توفى رحمه اللّـــه في سجنه في 20 شوال عام 728هـ رحمه اللّـــه رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

يبين أبن تيمية أن الإيمان للإنسان يقيه ويزيل عن الشبهات والشهوات فيقول:

(وكذلك ما في القلب من الإيمان وعبادة اللّـــه Y [يحفظ] بأشباهه بما يقوي الإيمان والعبادة ، وإذا حصل في القلب مرض من الشبهات والشهوات أزيل ذلك بضده ، ولا يحصل المرض إلاّ لنقص أسباب الصحة ، كذلك القلب لا يمرض بالشهوات والشبهات إلاّ لنقص إيمانه)(تزكية النفس، ص53).

ويتناول السعادة للإنسان وللنفس الإنسانية فيقول:

أما كمال الجود فلأنه لا مناسبة بين التراب، وبين جلال رب الأرباب. ثم أن الحق برحمته التامة وجوده الكامل، جعل التراب صفة الذرَة الحاملة للأضواء الإلهية والأنوار الصمدية (الرازي)

(والله I قد تفضل على بني آدم بأمرين هما أصل السعادة ، أحدهما : أن كل مولود يولد على الفطرة ، كما في الصحيحين عن النبي ε أنه قال : ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه . كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم ((فطرة اللَّـــه التي فطر الناس عليها)) قال تعالى : ((فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة اللَّـــه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللَّـــه ذلك الدين القيم)) ... فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقره لله بالإلهية ، محبة ، تعبده ، لا تشرك به شيئاً . ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الأنس والجن بما يوصي بعضهم إلى بعض من الباطل . قال تعالى : ((وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)) ... والثاني : أن اللَّـــه تعالى قد هدى الناس هداية عامة بما جعل فيهم بالفطرة من المعرفة وأسباب العلم ، وبما أنزل إليهم من الكتب ، وأرسل إليهم من الرسل . قال تعالى : ((اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . أقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم)) وقال تعالى : ((الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان)) وقال تعالى : ((سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى)) وقال تعالى : ((وهديناه النجدين)) .

ففي كل أحد ما يقتضي معرفته بالحق ومحبته له . وقد هداه ربه إلى أنواع من العلم ، ويمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الأولى والآخرة ، وجعل في فطرته محبة لذلك. لكن قد يعرض الإنسان بجاهليته وغفلته عن طلب ما ينفعه . وكونه لا يطلب ذلك ، ولا يريده : أمر عدمي ، ولا يضاف إلى اللَّـــه تعالى . فلا يضاف إلى اللَّـــه : لا عدم علمه بالحق ، ولا عدم إرادته للخير)(الحسنة والسيئة، ص 54ـــ56).

ويتناول أبن تيمية السعادة والشقاوة للنفس الإنسانية فيقول:

(في الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال : ((كنا في جنازة فيها رسول اللَّـــه ε فجلس ومعه مخصرة فجعل ينكت بالمخصرة في الأرض ثم رفع رأسه

أما كمال الرحمة، فلأنه مع أنه مركب من الشهوة والغضب والأخلاق الذميمة، أودع قلبه نور العرفان، وعلى لسانه ذكر التوحيد، وجعل عينيه طريقاً لرؤية دلائله، وأذنيه محلاً لسماع كلامه (الرازي)

وقال : ما من نفس منفوسة إلاّ وقد كتب مكانها من النار أو الجنة ، إلاّ وقد كتبت شقية أو سعيدة . قال : فقال رجل من القوم : يا نبي اللَّـــه أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان من أهل السعادة ليكونن إلى السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة ليكونن إلى الشقاوة . قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . أما أهل السعادة فييسرون للسعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون للشقاوة . ثم قال نبي اللَّـــه ε : ((فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)) ... فبين ε أن تقدم العلم والكتاب بالسعيد والشقي لا ينافي أن تكون سعادة هذا بالأعمال الصالحة ، وشقاوة هذا بالأعمال السيئة ؛ فإنه I يعلم الأمور على ما هي عليه ، وكذلك يكتبها ، فهو يعلم أن السعيد يسعد بالأعمال الصالحة ، والشقي يشقى بالأعمال السيئة ، فمن كان سعيداً ييسر للأعمال الصالحة التي تقتضي السعادة ؛ ومن كان شقياً ييسر للأعمال السيئة التي تقتضي الشقاوة ؛ وكلاهما ميسر لما خلق له ، وهو ما يصير إليه من مشيئة اللَّـــه العامة الكونية التي ذكرها اللَّـــه I في كتابه في قوله تعالى : ((ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم)))(التحفة العراقية في أعمال القلوب، ص 30ــ31).

ويعرض أبن تيمية قوى النفس الإنسانية فيقول:

(إن قوى الأفعال في النفس إما جذب وإما دفع ، فالقوة الجاذبة الجالبة للملائم هي الشهوة وجنسها : من المحبة والإرادة ونحو ذلك ، والقوة الدافعة المانعة للمنافي هي الغضب وجنسها : من البغض والكراهة ، وهذه القوة باعتبار القدر المشترك بين الإنسان والبهائم هي مطلق الشهوة والغضب ، وباعتبار ما يختص به الإنسان العقل والإيمان والقوى الروحانية المعترضة ... وباعتبار القوى الثلاث انقسمت الأمم التي هي أفضل الجنس الإنساني ؛ وهم العرب والروم والفرس . فإن هذه الأمم هي التي ظهرت فيها الفضائل الإنسانية ، وهم سكان وسط الأرض طولاً وعرضاً ، فأما من سواهم كالسودان والترك ونحوهم فتبع .فغلب على العرب القوة العقلية النطقية ، واشتق اسمها من وضعها فقيل لهم : عرب : من الأعراب ، وهو البيان والإظهار ، وذلك خاصة القوة المنطقية.

بدن الإنسان مركب وكل مركب فلا بد له من علل أربع وهي: المادة والصورة والفاعل والغاية (الرازي)

النفس بفطرتها إذا تركت كانت مقره لله بالإلهية ، محبة ، تعبده ، لا تشرك به شيئاً. ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الأنس والجن بما يوصي بعضهم إلى بعض من الباطل (ابن تميمة)

وغلب على الروم القوة الشهوية من الطعام والنكاح ونحوهما ، واشتق اسمها من ذلك فقيل لهم الروم ، فإنه يقال : رمت هذا أرومه إذا طلبته واشتهيته. وغلب على الفرس القوة الغضبية من الدفع والمنع والاستعلاء والسياسة ، واشتق اسمها من ذلك ، فقيل فرس ، كما يقال فرسه يفرسه إذا قهره وغلبه. ولهذا توجد هذه الصفات الثلاث غالبة على الأمم الثلاث حاضرتها وباديتها ؛ ولهذا كانت العرب أفضل الأمم ، وتليها الفرس لأن القوة الدفعية أرفع ، وتليها الروم)(مجموع فتاوى أبن تيمية، المجلد15، ص430ــ432).

ونختم م ن كلام أبن تيمية بأثر الشيطان على الإنسان فيقول:

(والقلوب فيها وسواس النفس ، والشيطان يأمر بالشهوات والشبهات ما يفسد عليه طيب عيشها ، فمن كان محباً لغير اللَّـــه فهو معذب في الدنيا والآخرة ؛ إن نال مراده عذب به ؛ وإن لم ينله فهو في العذاب والحسرة والحزن)(مجموع فتاوى أبن تيمية، المجلد28، ص 31ــ32).

ويبين كيفية التخلص من الشيطان فيقول:

(إن إخلاص الدين لله : يمنع من تسلط الشيطان ، ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب . كما قال تعالى : ((كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء . إنه من عبادنا المخلصين)) (يوسف : 24) .فإذا أخلص العبد لربه الدين : كان هذا مانعاً له من فعل ضد ذلك ومن إيقاع الشيطان له في ضد ذلك ، وإذا لم يخلص لربه الدين ولم يفعل ما خلق له وفطر عليه . عوقب على ذلك ، وكان من عقابه : تسلط الشيطان عليه ، حتى يزين له فعل السيئات ، وكان إلهامه لفجوره : عقوبة له على كونه لم يتق اللَّـــه)(الحسنة والسيئة، ص 77).

ويبين أثر ذكر الله في علاج الوسواس فيقول:

(والشيطان وسواس خناس ، إذا ذكر العبد ربه خنس ، فإذا غفل عن ذكره وسوس ، فلهذا كان ترك ذكر اللَّـــه سبباً ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة في القلب ، ومن ذكر اللَّـــه تعالى : تلاوة كتابه وفهمه ومذاكرة العلم)(مجموع فتاوى أبن تيمية، المجلد4، ص 34).

إن قوى الأفعال في النفس إما جذب وإما دفع ، فالقوة الجاذبة الجالبة للملائم هي الشهوة وجنسها : من المحبة والإرادة ونحو ذلك ، والقوة الدافعة المانعة للمنافي هي الغضب وجنسها : من البغض والكراهة ، وهذه القوة باعتبار القدر المشترك بين الإنسان والبهائم هي مطلق الشهوة والغضب ، وباعتبار ما يختص به الإنسان العقل والإيمان والقوى الروحانية المعترضة(ابن تيمية)

3-أبـــن قيـــــم الجوزيــــــة: (691ـ 751هـ):

هو شمس الدين أبو عبداللَّــه محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي . ولد بدمشق في السابع من شهر صفر عام 691هــ . تربى في كنف والده الشيخ الصالح أبو بكر بن أيوب الزرعي . وأخذ العلم من كثير من علماء الشام، وخصوصاً شيخ الإسلام ابن تيمية وأخذ عنه التفسير والحديث والفقه والفرائض والأصلين وعلم الكلام ، ولازمه سبعة عشر عاماً تقريباً وهو شيخه المفضل والذي يحيل على كلامه في كثير من كتاباته .وكان حسن الخلق لطيف المعاشرة طيب السريرة عالي الهمة واسع الأفق . وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة مستمراً على الأذكار في ليله ونهاره .وكان كثير العلم واسع الاطلاع . وقد امتحن وأوذي مرات عدة ، وحبس مع شيخ الإسلام في سجن القلعة منفرداً ولم يفرج عنه إلاّ بعد وفاة ابن تيمية .وقد ألف ابن القيم العديد من الكتب بلغ مجموعها 98 كتاباً ، ومن أهمها :زاد المعاد في هدى خير العباد .مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين .إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان .بدائع الفوائد .طريق الهجرتين وباب السعادتين .مفتاح دار السعادة ومنشور ألوية العلم والإرادة .الروح .تحفة المودود في أحكام المولود .إعلام الموقعين عن رب العالمين وقد تميزت كتابته باعتمادها على نصوص الوحي ، وبتفهم لمقاصد الشريعة وحكمة الأحكام وأسرارها ، وكذلك حسن الأسلوب وجاذبيته .وقد توفى ابن قيم الجوزية وقت العشاء الآخرة ليلة الخميس في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة 751هــ ودفن بمقبرة الباب الصغير في دمشق رحمه اللَّــه رحمة واسعة وغفر له وللمسلمين أجمعين.

تحدث أبن قيم الجوزية عن السعادة التي تؤثرها النفوس فقال:

(أنواع السعادة التي تؤثرها النفوس ثلاثة :

1) سعادة خارجية عن ذات الإنسان بل هي مستعارة له من غيره تزول باسترداد العارية ، وهي سعادة المال والجاه وتوابعها فبينما المرء بها سعيداً ملحوظاً بالعناية مرموقاً بالأبصار ، إذ أصبح في اليوم الواحد أذل من وتد بقاع يشج رأسه بالفهرواجي ؛ فالسعادة والفرح بهذه كفرح الأقرع بجمة ابن عمه ! والجمال بها كجمال المرء بثيابه وزينته ، فإذا جاوز بصرك كسوته فليس وراء عبادان قرية .

غلب على العرب القوة العقلية النطقية ، واشتق اسمها من وضعها فقيل لهم : عرب : من الأعراب ، وهو البيان والإظهار ، وذلك خاصة القوة المنطقية (ابن تيمية)

2) ... السعادة الثانية سعادة في جسمه وبدنه ، كصحته واعتدال مزاجه ، وتناسب أعضائه ، وحسن تركيبه ، وصفاء لونه ، وقوة أعضائه ، فهذه ألصق به من الأولى ، ولكن هي في الحقيقة خارجة عن ذاته وحقيقته فإن الإنسان إنسان بروحه وقلبه لا بجسمه وبدنه ، كما قيل :يا خادم الجسم كي تشقى بخدمته

فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

فنسبة هذه إلى روحه وقلبه كنسبة ثيابه ولباسه إلى بدنه ؛ فإن البدن أيضاً عارية للروح وآله لها ومركب من مراكبها فسعادتها بصحته وجماله وحسنه ، سعادة خارجة عن ذاتها وحقيقتها .

غلب على الروم القوة الشهوية من الطعام والنكاح ونحوهما ، واشتق اسمها من ذلك فقيل لهم الروم ، فإنه يقال : رمت هذا أرومه إذا طلبته واشتهيته (ابن تيمية).

3) السعادة الثالثة : هي السعادة الحقيقية ، وهي سعادة نفسانية روحية قلبية ، وهي سعادة العلم النافع ثمرته فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره وفي دوره الثلاثة أعني : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ، وبها يترقى في معارج الفضل ودرجات الكمال . أما : الأولى : فإنها تصحبه في البقعة التي فيها ماله وجاهه .والثانية : فعرضة للزوال والتبدل بنكس الخلق والرد إلى الضعف ؛ فلا سعادة في الحقيقة إلاّ في هذه. الثالثة : التي كلما طال عليها الأمد ازدادت قوة وعلواً ، وإذا عدم المال والجاه ، فهي مال العبد وجاهه وتظهر قوتها وأثرها بعد مفارقة الروح البدن إذا انقطعت السعادتان الأولتان وهذه السعادة لا يعرف قدرها ويبعث على طلبها إلاّ العلم بها ، فعادت السعادة كلها إلى العلم وما يقتضيه والله يوفق من يشاء لا مانع لما أعطي ولا معطي لما منع)(مفتاح دار السعادة، ج1، ص 156ــ157).

ويقسم القلوب لدى الناس إلى ثلاثة أقسام فيقول:

(القلوب ثلاثة : قلب خال من الإيمان وجميع الخير ، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه ، لأنه قد اتخذه بيتاً ووطناً ، وتحكم فيه بما يريد ، وتمكن منه غاية التمكن . والقلب الثاني : قلب قد استنار بنور الإيمان ، وأوقد فيه مصباحاً ، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية ، فلشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع ، فالحرب دول وسجال . وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة ، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر ، ومنهم من أوقات

غلبة عدوه له أكثر ، ومنهم من هو تارة تارة . القلب الثالث : قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان ، وانقشعت عنه حجب الشهوات ، وأقلعت عنه تلك الظلمات ، فلنوره في صدره إشراق ، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به ، فهو كالسماء التي حرست بالنجوم ، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق ، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن ، وحراسة اللَّـــه تعالى له أتم من حراسة السماء ، والسماء متعبد الملائكة ، ومستقر الوحي ، وفيها أنوار الطاعات ، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان ، وفيه أنوارها ، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو ، فلا ينال منه شيئاً إلاّ خطفه)(الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص 29ــ30).

ويعرض أبن قيم الجوزية أنواع أمراض القلوب فيقول:

(ومرض القلوب : نوعان : مرض شبهة وشك ، ومرض شهوة وغي ، وكلاهما في القرآن . قال تعالى في مرض الشبهة : ((في قلوبهم مرض فزادهم اللَّـــه مرضا)) (البقرة : 100) وقال تعالى : ((وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد اللَّـــه بهذا مثلا)) (المدثر : 31) ، وقال تعالى في حق من دعي إلى تحكيم القرآن و السنة ، فأبى وأعرض : ((وإذا دعوا إلى اللَّـــه ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف اللَّـــه عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون)) (النور : 48 - 49) ، فهذا مرض الشبهات والشكوك . وأما مرض الشهوات ، فقال تعالى : ((يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض)) (الأحزاب : 32) . فهذا مرض شهوة الزنا)(زاد المعاد في هدى خير العباد، ج4، ص5ــ6).

كما يتناول مفسدات القلب الخمسة فيقول:

(أما مفسدات القلب الخمسة : فهي التي أشار إليها : من كثرة الخلطة والتمني ، والتعلق بغير اللَّـــه ، والشبع ، والمنام . فهذه خمسة من أكبر مفسدات القلب)(مدارج السالكين، ج1، 451).

ولكن السؤال هو ممن يؤخذ طب القلوب والإجابة نجدها لدى ابن قيم الجوزية حيث يقول

غلب على الفرس القوة الغضبية من الدفع والمنع والاستعلاء والسياسة ، واشتق اسمها من ذلك ، فقيل فرس ، كما يقال فرسه يفرسه إذا قهره وغلبه(ابن تيمية).

(فأما طب القلوب ، فمسلّم إلى الرسل صلوات اللّـــه وسلامه عليهم ، ولا سبيل إلى حصوله إلاّ من جهتهم وعلى أيديهم ، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها ، وفاطرها ، وبأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وأحكامه ، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابه ، متجنبة لمناهيه ومساخطه ، ولا صحة لها ولا حياة البتة إلاّ بذلك ، ولا سبيل إلى تلقيه إلاّ من جهة الرسل ، وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم ، فغلط ممن يظن ذلك ، وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية ، و صحتها وقوتها ، وحياة قلبه وصحته ، وقوته عن ذلك بمعزل ، ومن لم يميز بين هذا وهذا ، فليبك على حياة قلبه ، فإنه من الأموات ، وعلى نوره ، فإنه منغمس في بحار الظلمات)(زاد المعاد في هدى خير العباد، ج4، ص 7ـــ8).

ونختم بحديث أبن قيم الجوزية عن النفس وحالاتها الثلاث ورده على من قال أنها ثلاثة أنفس، فيقول:

(فقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس ، نفس مطمئنة ، ونفس لوامة ، ونفس أمارة ، وأن منهم من تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه الأخرى ، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى : ((يا أيتّها النفس المطمئنة)) وبقوله تعالى : ((لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة)) وبقوله تعالى : ((إن النفس لأمارة بالسوء)) . والتحقيق أنها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه ، فإن سمة محبته وخوفه ورجاءه منها قطع النظر عن محبة غيره وخوفه ورجائه ، فيستغني بمحبته عن حب ما سواه وبذكره عن ذكر ما سواه وبالشوق إليه وإلى لقائه عن الشوق إلى ما سواه ، فالطمأنينة إلى اللّـــه سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده تجمعه عليه ، وترد قلبه الشارد إليه حتى كأنه جالس بين يديه يسمع به ويبصر به ويتحرك به ويبطش به ، فتسري تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحه إلى اللّـــه ، ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه ، ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلاّ باللّـــه وبذكره وهو كلامه الذي أنزله على رسوله كما قال تعالى : ((الذين آمنوا

القلوب فيها وسواس النفس ، والشيطان يأمر بالشهوات والشبهات ما يفسد عليه طيب عيشها ، فمن كان محباً لغير اللّـــه فهو معذب في الدنيا والآخرة ؛ إن نال مراده عذب به ؛ وإن لم ينله فهو في العذاب والحسرة والحزن) (ابن تيمية)..

وتطمئن قلوبهم بذكر اللَّـــه ألا بذكر اللَّـــه تطمئن القلوب)). وأما النفس اللوامة وهي التي أقسم بها سبحانه في قوله : ((ولا أقسم بالنفس اللوامة)) فاختلف فيها فقالت طائفة هي التي لا تثبت على حال واحدة . أخذوا اللفظة من التلوم وهو التردد فهي كثيرة التقلب والتلون وهي من أعظم آيات اللَّـــه فإنها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلاً عن اليوم والشهر والعام والعمر ألواناً كثيرة .... اللوامة نوعان : لوامة ملومة ، وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها اللَّـــه وملائكته . ولوامة غير ملومة ، وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة اللَّـــه مع بذله جهده فهذه غير ملومة ؛ وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة اللَّـــه واحتملت ملام اللائمين في مرضاته فلا تأخذها فيه لومة لائم فهذه قد تخلصت من لوم اللَّـــه ، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل في اللَّـــه ملام اللوام . فهي التي يلومها اللَّـــه Y . وأما النفس الأمارة فهي المذمومة فإنها التي تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها إلاّ ما وفقها اللَّـــه وثبتها وأعانها ، فما تخلص أحد من شر نفسه إلاّ بتوفيق اللَّـــه له كما قال تعالى حاكياً عن امرأة العزيز : ((وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلاّ ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم)).... فالشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الأعمال فإن خلى اللَّـــه بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال ، وإن وفقه وأعانه نجاه من ذلك كله)(الروح، ص 220ــ226).

الشيطان وسواس خناس ، إذا ذكر العبد ربه خنس ، فإذا غفل عن ذكره وسوس ، فلهذا كان ترك ذكر اللَّـــه سبباً ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة في القلب (ابن تيمية).

تعليـــــــــق:

يبدو من خلال النماذج التي عرضناها لعلماء الطبقة الثالثة اختلاف الطرح بين فخرالدين الرازي وأبن تيمية وأبن قيم الجوزية. فنلحظ لدى فخرالدين الرازي تأثراً ولو قليلاً بكلام الفلاسفة ونقله لمقولاتهم في كتبه، مما جعل كلامه يركز كثيراً على المنطق والمجادلة العقلية في تناوله للإنسان والنفس الإنسانية، بينما نجد تشاباً كبيراً بين كتابات أبن تيمية وأبن قيم الجوزية حيث سار التلميذ على طريقة شيخه في الاعتماد ابتداءً على نصوص الكتاب والسنة ثم البناء على ما ورد فيهما لتقرير المسائل وإيراد الحجج والرد على الخصوم، كما تميز أبن قيم الجوزية بدخوله في دراسة النفس الإنسانية بشكل متعمق يعكس علماً واسعاً ظهرت في كتاباته فاقت في كثير من نواحيها ما هو مطروح حالياً في كتب علم النفس

رابعـاً: الطبقـــة الرابعـــة: (901ـ 1200هـ):

1-السيوطـــــــي: (849ـ 911هـ):

هو عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد الخضيري الأسيوطي الملقب جلال الدين، ولد في أسيوط سنة 849هــ. تعلم على كثير من العلماء ذكر أنهم نحو مائة وخمسين عالماً. كما درس الكتب على اختلاف أنواعها. وله الكثير من المؤلفات قيل أنها زادت على السبعمائة وطبع منها ما يزيد على المائتين. منها: مفتاح الجنة في الإعتصام بالسنة، وهام الإصابة في الدعوات المستجابة، والشهاب الثاقب في ذم الخليل والمصاحب، ونتيجة الفكر في الجهر بالذكر، وتفسير الجلالين. وتوفي في أسيوط سنة 911هــ.

أنواع السعادة التي تؤثرها النفوس ثلاثة : سعادة خارجية عن ذات الإنسان بل هي مستعارة له من غيره تزول باسترداد العارية ، وهي سعادة المال والجاه وتوابعها (أبن قيم الجوزية)

ينقل السيوطي ست خصال إذا وجدت في إنسان فهو كامل، فيقول:

(قال بعض الحكماء: من كانت فيه ست خصال فهو إنسان كامل، وإن عدم واحدة منهن فقد عدم سدس الإنسانية، وإن عدم الكل فليس بإنسان، وهي الألفة، والحياء، والعقل، والأنفة، والشكر، والرجاء)(الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، ص41).

كما يذكر السيوطي آداب العشرة فيقول:

(في الأثر عاشروا الناس بأخلاقهم. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من لانت كلمته وجبت محبته، فعلى المعاشر أشياء منها: لين الكلمة وصحة الوفاء، وأن لا يلقى صاحبه إلا بما يحب، ولا يؤذي جليسه، ويبدؤه بالسلام، ويوسع له في المجلس، ويدعوه بأحب أسمائه إليه، ويصبر على جفائه، ويقتصد في عشرته)(الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، ص43).

ويذكر السيوطي الإنسان باللجوء إلى الله في كل حال لأنه مجيب الدعوات، فيقول:

(فيما يرجع إلى الدعاء، أخرج البخاري في الأدب عن أنس قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا رجل فقال: يا بديع السماوات، يا حي يا قيوم، إني أسالك. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أتدرون بما دعا ؟ والذي نفسي بيده دع الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب)) ... وأخرج الحاكم عن أنس قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورجل قائم يصلي، فلما ركع

وسجد تشهد ودع فقال في دعائه: اللهم إني أسالك بأن لك الحمد ل إله إلا أنت، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى))(سهام الإصابة في الدعوات المستجابة، ص87ــ88).

كما يبين السيوطي أن القرآن الكريم شفاء للقلوب فيقول:

(أنزل الله تعالى القرآن الكريم شفاء للقلوب، وإزالة للريب، وتفريجاً للكروب، مع ما تفضل به سبحانه من ثواب تلاوته، وعظيم ذكره تعالي ((قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء))(فصلت:44). ((وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً))(الإسراء:82))(نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، ص5).

ويبين السيوطي فوائد الذكر للإنسان والنفس الإنسانية فيقول:

(وأفضل الأعمال ذكر الله لقوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد سئل عن أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل، قال: ((أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل)). فالذكر يزيل عتمة القلب، وقسوته، ويطرد الشطيان ويقمعه، ويبعد النفس عن الهم، جالباً لها أقصى السعادة والهناءة، إذ الذاكر تحوطه الملائكة، وتغشائه الرحمة، وينظر الله إليه بعنايته وعطفه. وعلى الذكر مدار الإسلام فهو رابطة وثيقة بين العبد ومولاه، لقوله تعالى ((فاذكروني أذكركم))(البقرة:152) فهذه الرابطة بين الإنسان وربه تورث المعرفة والمحبة، وتجعل القلب يحلق في ملكوت التوسل والدعاء، في رجوع إلى الله تعالى في كل الأحوال، فالله هو الملجأ والملاذ في السراء والضراء ... ثم إن للذكر نتائج باهرة، والعطايا الكثيرة ... والذكر ينور القلب والعمل، فيبعد الإنسان عن الحزن والحسرة والغم، فتصغر الدنيا في عين الذاكر، وتعظم الآخرة في فؤاده، فيهتدي للصراط، ويتقرب إلى الله تعالى، إذ الذكر صلة المخلوق بالخالق)(نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، ص7ــ8).

ويوسع السيوطي دائرة الذكر لتشمل جميع الأعمال الإنسانية، فيقول:

(والذكر لا ينحصر في التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد، بل يشمل دائرة أوسع تنطبق على معنى العبادة بكل شموليتها واتساع رحابها. قال عطاء رحمة

السعادة الثانية سعادة في جسمه وبدنه ، كصحته واعتدال مزاجه ، وتناسب أعضائه ، وحسن تركيبه ، وصفاء لونه ، وقوة أعضائه ، فهذه ألصق به من الأولى ، ولكن هي في الحقيقة خارجة عن ذاته وحقيقته فإن الإنسان إنسان بروحه وقلبه لا بجسمه وبدنه (أبن قيم الجوزية)

الله: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع وتصلي وتوصم وتنكح وتحج وأشباه ذلك ... ومن علامات الذاكر الخوف من الله تعالى، مع السكينة والاطمئنان)(نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، ص11).

2- المغـــــــــــراوي: (920هـ):

هو أحمد بن أبي جمعة المغراوي. الملقب شقرون (أي أشقر اللون إلى جانب أنه أحمر العينين)، تتلمذ على يد الإمام محمد بن يوسف السنوسي، والشيخ العلامة ابن غازي وهما من شيوخ المغرب، كما أخذ من شيوخ تونس. ومؤلفاته قليلة منها: جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، والجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين، والنصيحة إلى الغرباء في الأندلس. توفي سنة920هـ وقيل سنة 929هـ.

تناول المغراوي أقوال السابقين في أخذ الأجرة على تعليم الأطفال، وحرص على تأييد القائلين به ومما نقله ما يلي:

(باب حكم الإجارة على تعليم القرآن ... قال الجولي: أما حكم الإجارة على التعليم والإثابة عليه فاختلف فيه على ثلاثة أقوال، أجازهما مالك، ومنعهما أبوحنيفة، وثالثها تجوز الإثابة دون الإجارة. قلت وعزاه الشوشاوي لبعض العلماء انتهى. الجزولي: وأما الأصل فيها فدليل أبي حنيفة قوله تعالى ((قل لا أسألكم عليه أجراً)) وقوله عليه السلام ((بلغوا عني ولو آية من كتاب الله، ولم يقل خذوا عليها أجراً ... وما روي أن عبادة بن الصامت قال: كنت أعلم القرآن رجلاً من أهل الصفة فأعطاني قوساً أجاهد به، فسألت عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال لي: ((أتريد أن يطوقك الله بطوق من النار فاقبله)) ... ودليل مالك قوله عليه السلام: ((خير ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله)) وما روى : أن سعداً بن أبي وقاص كان يعطي الإجارة للمعلم على تعليم بنيه. وما روى أن صفوان بن سليم وعطاء بن أبي رباح كانا يعلمان القرآن بالإجارة، ومضى عليه عمل أهل المدينة ... ودليل جوازه على الإثابة دون الإجارة قوله عليه الصلاة والسلام: ((أفضل ما أكرم عليه الرجل كتاب الله))(المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، ص72ـ73).

السعادة الثالثة : هي السعادة الحقيقية ، وهي سعادة نفسانية روحية قلبية ، وهي سعادة العلم النافع ثمرته فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره وفي دوره الثلاثة أعني : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ، وبها يترقى في معارج الفضل ودرجات الكمال (ابن قيم الجوزية).

ويؤكد المغراوي حق كل إنسان في التعليم لا فرق بين ذكراً وأنثى، فيقول:

(القابسي: إن ترك الأب تعليم ولده لتقبح شح وقلة عذر، فإن كان للولد مال فلا يدعه دون تعليم ولية أو قاضي بلده أو جماعته إن لم يكن قاض، وإن لم يكن له مال توجه حكم الندب على وليه وأمه والأقرب، وتعليم من أسلم ما يصلي به فرض كفاية، ويتعين على من انفرد به دون عوض،، وتعليم الأنثى ما تصلى به فرض كفاية، ويتعين على من انفرد به دون عوض، وتعليم الأنثى ما تصلى به كالذكر كذلك، ويتعين على الولي، والزائد على ذلك للأنثى حسن)(المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، ص77ــ78).

ويؤكد المغراوي أهمية القرآن للإنسان المسلم في الدنيا والآخرة، فينقل ما يلي:

(قال عليه السلام: ((ما من رجل في جوفه ثلاثمائة آية إلا وجد في قبره روضة من رياض الجنة)) فعلينا أن نقوم بلسان الضراعة والخضوع وقلب التذلل والخشوع: اللهم أوف لنا وعدك وصدق رسولك وأجعله اللهم لنا مرشداً إلى الهدى ومنكباً عن سبيل الردى، وانفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم يا ذا الجلال والإكرام، ومن أدلة فضائله قوله تعالى((فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري)) إلى قوله ((أعمى)) ... وقوله ((قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء))(المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، ص104).

القلوب ثلاثة : قلب خال من الإيمان وجميع الخير ، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه ، لأنه قد اتخذه بيتاً ووطناً ، وتحكم فيه بما يريد ، وتمكن منه غاية التمكن(أبن قيم الجوزية)

3- أبـــن حجـــر الهيثمـــي (909ـ 973هــ):

هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي. ولد في محلة أبي الهيثم (من أقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته. تلقى العلم بالأزهر. وله كتب كثيرة منها: مبلغ الأرب في فضائل العرب، والجوهر المنظم، والصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة، وتحفة المحتاج شرح المنهاج، وشرح الأربعين النووية، ونصيحة الملوك، وتحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، والمنهج القويم في مسائل التعليم، والدرر الزاهرة في كشف بيان الآخرة، وكف

الرعاع عن استماع آلات السماع، وتحذير الثقات من أكل الكفنة والقات. وتوفي سنة 973هـــ.

يذكر أبن حجر الهيثمي أن الإنسان المسلم يجمع بين حسن الخلق والعطاء (الصدقة) فيقول:

(ووجه مناسبته في الصدقة أن بحسنه تكون الصدقة على أكمل الأحوالوأفضلها وبشؤمه تنعدم الصدقة أو تكون هباء منثورا بما يقترن بها من المن وغيره منقبائح الأحوال والأقوال وفيه أحاديث منها: قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم:(مكارم الأخلاق عشرة ذكر منها: صدق الحديث وإعطاء السائل والمكافآت بالصنائعوحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذمم للصاحب أي حفظ ذمامه وهو عهده وحقه وقرى الضيفورأسهن الحياء) الحكيم الترمذي.

وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (أكمل المؤمنين إيماناأحسنهم خلقا) أحمد وأبو داود وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (حسنالخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد) الديلمي والخرائطي ورواه الطبرانيبلفظ: (الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السوء يفسدالعمل كما يفسد الخل العسل)(الأناقة فيما جاء في الصدقة والضيافة، ص12).

ويعرض أبن حجر الهيثمي صفة هامة للإنسان وهي الورع ويبين أقسامها فيقول:

(الورع أربعة أقسام:لأنه: إما ورع الشهادة وهو الامتناع مما يسقطها وإما ورع المتدينوهو ترك ما يتطرق إليه احتمال التحريم الذي له موقع وإن أفتى المفتي بحله عملابالظاهر ولا أثر للاحتمال البعيد كمن ترك الاصطياد لاحتمال أن الذي يصطاده قداصطاده غيره وانفلت منه – فهذا وسواس لا ورع وأما ورع المتقين وهو ترك ما يخافانجراره إلى الحرام وإن كان حلالا لا شبهة فيه.

وأما ورع الصديقين وهو ترك ما ليس فيه شيء مما سبق ولكن تناوله منغير نية التقوى على العبادة ويتطوع إلى أسبابه كراهة فإذا اختلط ببلد حرام غيرمنحصر بحلال كذلك كان ترك الشراء والأكل من ذلك ورعا محبوبا.وكلما كثر الحرام تأكد الورع والامتناع من كل حلال لكون فاسق أوكافر حمله وسواس لا ورع)(الأناقة فيما جاء في الصدقة والضيافة، ص 82).

قلب قد استنار بنور الإيمان ، وأوقد فيه مصباحاً ، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية ، فلشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع ، فالحرب دول وسجال(أبن قيم الجوزية).

ويتناول أبن حجر الهيثمي حالة انفعالية يمر بها الإنسان وهي البكاء ويبين أنواعها وكيف يكون الإنسان المسلم معها فيقول:

(وأعلم أن البكاء إما من حزن وإما من وجع، وإما من فزع وإما من فرح، وإما شكراً وإما خشية من الله تعالى، وهذا هو أعلاها درجة وأغلاها ثمناً في الدار الآخرة، وأما البكاء للرياء والكذب فلا يزداد صاحبه إلا طرداً وبعداً ومقتاً، وحق لمن لم يعلم ما جرى له به القلم في سابق علم الله تعالى من سعادة مؤبدة أو شقاوة مخلدة، وهو فيما بين هاتين الحالتين قد ركب المحرمات وخالف خالقه في المنهيات أن يكثر بكاءه وأسفه وحزنه ونحيبه ولهفه، وأن يهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأن يجأر إلى الله على ما سلف منه من سوابق مخالفاته وقبائح شهواته، عسى أن يوفقه إلى التوبة النصوح وأن يخرجه من ظلمات الجهل والعصيان إلى العلم والطاعة وما لهما من ثمرات المعرفة والفتوح)(الزاجر، ص 20ـ21).

ويعرض أبن حجر الهيثمي لحاجة إنسانية غريزية وهي إشباع الغريزة الجنسية عن طريق الزواج فيقول:

(عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء). والباءة مؤن النكاح بأن يتوق إليه ويجد مهر المثل وكسوة فصل ونفقة يوم وليلة وقيل الجماع وينافيه قوله ومن لم يستطع إلى آخره اذ العاجز عن الجماع لا يحتاج لصوم والشباب كناية عن التائقين للجماع ولو شيوخا نظير الترخيص في القبلة مع الصوم للشيخ دون الشباب أي لمن تحرك شهوته ولو شيخا دون من لم تحركها ولو شابا فكنى عن الأول بالشباب وعن الثاني بالشيخ نظرا للمظنة فيهما وضمير انه للزوج المفهوم من يتزوج ووجاء أي قاطع للشهوة والقطع في الصوم نظرا لدوامه لا لابتدائه فإنه يثير الحرارة ويهيجها والأمر بالتزوج للندب إذ لا يجب عندنا مطلقا إلا بالنذر في الحالة التي يندب فيها وبالصوم لأجل قطع الشهوة أي كسرها يدل على عدم قطعها بالكافور ونحوه فقطعها بذلك قيل حرام وقيل مكروه والصواب ان

القلب الثالث : قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان ، وانقشعت عنه حجب الشهوات ، وأقلعت عنه تلك الظلمات ، فلنوره في صدره إشراق ، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به (أبن قيم الجوزية).

مرض القلوب : نوعان : مرض شبهة وشك ، ومرض شهوة وغي

قطعها من أصلها حرام كالخصاء ولا من أصلها مكروه وعليه يحمل القولان وروى الطبراني في الأوسط والضياء أنه {صلى الله عليه وسلم} قال عليكم بالبائة أي النكاح عندهما فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه وجاء له)(الإفصاح عن أحاديث النكاح، ص1).

تعليـــــــــق:

من خلال النماذج التي أوردها لعلماء الطبقة الرابعة يبدو فيه أن السيوطي وأبن حجر الهيثمي الحرص على نقل نصوص الكتاب والسنة بشكل متتالي وقلة الشرح والطرح من قبلهما كما كان لدى علماء الطبقة الثالثة، ربما أنهما يريان أن ليس من حجة أقوى من الوحي، ولكن قد لا يسلم لهما بذلك لأن العلماء في كل العصور يشرحون النصوص بالتفصيل ويؤكدون ما ورد فيها. وأما السيوطي فقد كان لديه نفس أطول منهما، وتعرض للإنسان والنفس الإنسانية وكيفية التعامل معها وكيف تروض بالذكر، وتعالج بالقرآن وذكر الله، وقد وسع معنى الذكر ليشمل مفهوم العبادة الواسع.

أما مفسدات القلب الخمسة : فهي التي أشار إليها : من كثرة الخلطة والتمني ، والتعلق بغير اللّــه ، والشبع ، والمنام . فهذه خمسة من أكبر مفسدات القلب (أبن قيم الجوزية)

خامساً: الطبقة الخامسة: (1201هـــ حتى عصرنا الحاضر):

1-القاسمـــــــــــي: (1283 ـ1332هـ):

هو محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، ولد بدمشق سنة 1283هـــ. درس على كثير من علماء عصره. وأصبح إمام الشام وهو فقيه أصولي مفسر محدث أديب تقي حليم عفيف نزيه. له العديد من المؤلفات فاقت السبعين منها: دلائل التوحيد، ومحاسن التأويل في التفسير، والإيناس في تصحيح أنكحة الناس، ومذاهب الاعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، وإصلاح المساجد من البدع والعوائد، وجوامع الآداب في أخلاق الانجاب. وتوفي بدمشق ودفن فيها سنة 1332هـــ.

يورد القاسمي أن الإنسان مركب من جسد و روح ، فيقول:

(الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر، ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة: إما قبيحة، وإما جميلة. فالنفس المدركة بالبصيرة

أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمرها بإضافتها إليه، إذ قال تعالى ((إني خالق بشراً من طين # فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين))(ص: 71ـــ72). فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح إلى رب العالمين، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد)(جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب، ص15).

ويتحدث القاسمي عن حفظ صحة الإنسان فيقول:

(والعقل أكبر مرشد إلى أن من يعتني بجودة طعامه وشرابه، ونظافة جسده ولباسه، ومسكنه وانتقاء الهواء، واجتناب ما ينهك القوى، أقرب إلى الصحة والعافية ممن يهمل ذلك)(جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب، ص93).

يدعو القاسمي إلى تعاهد النفس الإنسانية وحسن تربيتها لتستقيم على الطريق فيقول:

(ومعلوم أن قوى النفس الإنسانية مفتقرة دائماً إلى تعهدها بالتربية والتثقيف، فلأرض مثلاً لا تخرج ما في أرحامها إلا بالفلاحة، وهي لا تكون إلا بآلات خاصة بها، وأسباب تهيئها، والكتابة لا تكون إلا بأدوات خاصة بها كالقلم وتوابعه. أما هذه الأدوات في التربية فهي عبارة عن: العلم الصحيح، والمعلم الكامل، والأخلاق المهذبة، وحسن الأسوة من الأهل والأقران، وإحكام المراقبة التي يكون بها اجتناب كل ما يخل بالأدب والكمال، مع تعهد يستمر في تقويم الطباع المتأصلة، والعقائد الموروثة، إلى الصحيح السالم)(جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب، ص153ـــ154).

يبين القاسمي أهمية التوحيد للإنسان وأنه لا غنى عنه له في كل الأحوال لصد كل ما يريد أضلاله من شياطين الأنس والجن فيقول:

(سر علم التوحيد وروحه هو تحقيق الإيمان بالله تعالى، أي جزم القلب بوجوده سبحانه، وما يتبعه من صفاته الجليلة، ونعوته الجميلة، جزماً بالغاً النهاية ومتجاوزاً من الحدود والغاية، بحيث لا يصاحبه ريب ولا يشوبه شك. وإنما يتم ذلك بالوقوف على ما يقوي الفطرة من قواطع الدلائل ومسالح البراهين، والبرهان سلاح الإيمان يتقي به غرة الشيطان. ومن لا عدة له يوشك أن يصرع إذا قامت الهيجاء، ويدهش لمباغتة الأعداء)(دلائل التوحيد، ص12).

لابن آدم ثلاث أنفس، نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة، وأن منهم من تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه الأخرى، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى: ((يا أيتّها النفس المطمئنة)) وبقوله تعالى: ((لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة)) وبقوله تعالى: ((إن النفس لأمارة بالسوء)) (أبن قيم الجوزية)

ويورد القاسمي ما يقال في صرع الجني للإنسان فيقول:

(يزعمون أن المجنون إذا صرعته الجنَية، وأن المجنونة إذا صرعها الجنَي، أن ذلك إنما هو عن طريقالعشق والهوى وشهوة النكاح ... وأن عين الجان أشد من عين الإنسان)(مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، ص24).

2- السعــــــــــدي : (1307ـ 1376هــ):

هو عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي من قبيلة بني تميم العلامة الزاهد الورع الفقيه الأصولي المفسر،ولد في مدينة عنيزة سنة 1307هــ.نشأ نشأة صالحة كريمة، وعرف من حداثته بالصلاح والتقى. وأقبل على العلم بجد ونشاط وهمة وعزيمة فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب قبل أن يتجاوز الثانية عشرة من عمره، واشتغل بالعلم على علماء بلده والبلاد المجاورة لها ومن يرد إلى بلده من العلماء وانقطع للعلم وجعل كل أوقاته مشغولة في تحصيله حفظاً وفهماً ودراسة ومراجعة واستذكاراً، وما أن تقدمت به الدراسة شوطاً حتى تفتحت أمامه آفاق العلم فخرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبلي فقط إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الذي فتقت ذهنه ووسعت مداركه فخرج من طور التقليد إلى طور الاجتهاد حتى صار لديه جرأة وجسارة على محاولة تطبيق بعض النصوص الكريمة على بعض مخترعات هذا العصر وحوادثه، فهذه همته وعزيمته في تحصيل العلم. وله مؤلفات عديدة منها: تفسير القرآن الكريم، والرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، والمعين على تحصيل آداب العلم وأخلاق المتعلمين، والوسائل المفيدة للحياة السعيدة، وبهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار. توفي سنة 1376هــ.

يشرح السعدي وسائل الحياة السعيدة في كتاب له نقتطف منها قوله:

(وأعظم الأسباب لذلك وأصلها وأسُها هو الإيمان والعمل الصالح. قال تعالى ((من عمل صالحاً من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم

أنها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه (أبن قيم الجوزية)

اللوامة نوعان : لوامة ملومة ، وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها اللّــه وملائكته . ولوامة غير ملومة ، وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة اللّــه مع بذله جهده فهذه غير ملومة (أبن قيم الجوزية)

أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)(النحل:97). فأخبر تعالى، ووعد من جمع بين الإيمان والعمل الصالح، بالحياة الطيبة في هذه الدار، وبالجزاء الحسن في دار القرار. وسبب ذلك واضح، فإن المؤمنين بالله الإيمان الصحيح، المثمر للعمل الصالح المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة، ومعهم أصول وأسس يتلقون فيها جميع ما يرد عليهم من أسباب السرور والابتهاج، وأسباب القلق والهَم والأحزان)(الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، ص11).

ويشرح السعدي طريقة مقاومة الأوهام التي ترد على نفس الإنسان، وذلك بقوة القلب:

(ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام، ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم والغموم، وزالت عنه كثير من الأسقام البدنية والقلبية، وحصل للقلب من القوة والإنشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه)(الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، ص24).

أشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة اللّــه واحتملت ملام اللائمين في مرضاته فلا تأخذها فيه لومة لائم فهذه قد تخلصت من لوم اللّــه (أبن قيم الجوزية)

يتناول السعدي مصادر العلم الوحي والحس والعقل فيقول:

(أعلم أن الطرق والمسالك التي يتوصل بها إلى العلوم كثيرة الأجناس والأنواع والأفراد، ولكن يجمع متفرقاتها، ويلم أشتاتها ثلاث طرق: إحداها: طرق الإخبارات الصادقة. والثاني الحس. والثالث طريق العقل. ووجه الحصر في ذلك أن المعلومات إما تدرك بالسمع أو بالبصر أو اللمس أو الذوق، وإما أن تدرك بالعقل، وإما أن تنال بالإخبار ... ثم هذه الأجناس قد توصل إلى العلم الراسخ اليقيني، وقد توصل إلى الترجيح فقط، وبين المرتبتين درجات متفاوتة)(المعين على تحصيل آداب العلم وأخلاق المتعلمين، ص11ــ12).

الشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الأعمال فإن خلى اللّــه بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال ، وإن وفقه وأعانه نجاه من ذلك كله (أبن قيم الجوزية)

ويدعو السعدي الإنسان إلى الجمع بين حسن الخلق وطمأنينة القلب فيقول:

(وبالخلق الحسن وطمأنينة القلب وراحته يتمكن من معرفة العلوم التي سعى لإدراكها، والمعارف التي يفكر في تحصيلها)(المعين على تحصيل آداب العلم وأخلاق المتعلمين، ص63)

ويتناول السعدي ما يحتاجه الإنسان من رياضة البدن والخلق والذهن فيقول:

(وهي ثلاثة أقسام: رياضة الأبدان، ورياضة الأخلاق، ورياضة الأذهان.

ووجه الحصر، أن كمال الإنسان المقصود منه: تقوية بدنه لمزاولة الأعمال المتنوعة، وتكميل أخلاقه ليحيا حياة طيبة مع الله، ومع خلقه، وتحصيل العلوم النافعة الصادقة)(الرياض الناظرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، ص186).

ونختم بشرح للسعدي لسلوك الإنسان العاقل مع الناس فيقول:

(عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر)) متفق عليه. هذا الحديث اشتمل على أربع جمل جامعة مفيدة. إحداها: قوله: ((ومن يستعفف يعفه الله)) والثانية: قوله: ((ومن يستغن يغنه الله)) وهاتان الجملتان متلازمتان، فإن كمال العبد في إخلاصه لله رغبة ورهبة وتعلقاً به دون المخلوقين، فعليه أن يسعى لتحقيق الكمال، ويعمل كل سبب يوصله إلى ذلك، حتى يكون عبداً لله حقاً حراً من رق المخلوقين. وذلك بأن يجاهد نفسه على أمرين: انصرافها عن التعلق بالمخلوقين بالاستعفاف عما في أيديهم. فلا يطلبه بمقالة ولا بلسان حالة ... وتمام ذلك: أن يجاهد نفسه على الأمر الثاني: وهو الاستغناء بالله، والثقة بكفايته، فإنه من يتوكل على الله فهو حسبه. وهذا هو المقصود، والأول وسيلة إلى هذا)(بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، ص71).

3-محمـــــد قطـــــب: (1919م – معاصر):

محمد قطب إبراهيم الشاذلي، ولد ببلدة (موشا) التابعة لمحافظة أسيوط سنة 1919م بصعيد مصر، بعد وفاة الوالد قررت الأم أن تبعث بولديها "سيد" و"محمد" إلى القاهرة ليتلقيا تعليمهما هناك، فانتقل "محمد" مع أشقائه "سيد" و"أمينة" و"حميدة".. وفي القاهرة بدأ دراسته، فأتم المرحلتين الابتدائية والثانوية، ثم التحق بالجامعة حيث درس الإنجليزية وآدابها في جامعة القاهرة التي تخرج فيها عام 1940م، ثم تابع دراسته بمعهد المعلمين فحصل على دبلومة التربية وعلم النفس. شهدت مرحلة خروج الإخوان من سجون عبد الناصر ما يشبه الهجرة الجماعية

الذكر يزيل عتمة القلب، وقسوته، ويطرد الشطيان ويقمعه، ويبعد النفس عن الهم، جالباً لها أقصى السعادة والهناءة، إذ الذاكر تحوطه الملائكة، وتغشائه الرحمة، وينظر الله إليه بعنايته وعطفه (السيوطي)

الذكر ينور القلب والعمل، فيبعد الإنسان عن الحزن والحسرة والغم، فتصغر الدنيا في عين الذاكر، وتعظم الآخرة في فؤاده، فيهتدي للصراط، ويتقرب إلى الله تعالى، إذ الذكر صلة المخلوق بالخالق (السيوطي)

من مصر، ولم يكن محمد قطب الذي أفرج عنه في أكتوبر 1971 استثناء من هذه القاعدة، وقد أصابه ما أصابه، فسافر في أوائل السبعينيات إلى المملكة العربية السعودية، حيث بقي هناك إلى الآن. عمل مدرسا في كلية الشريعة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، ثم في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، ويرجع الفضل لمحمد قطب –حسبما ذهب مراقبون– في تأسيس مدرسة إسلامية ذات طابع حركي داخل الجامعات السعودية، وقد حاز قطب على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية في عام 1408هـــ. وفي إطار نقده للمنتوج الفكري والثقافي الغربي حمل قطب مشعل الدعوة إلى أسلمة العلوم والتعامل معها من خلال القيم والأخلاق الإسلامية. له سلسلة طويلة من الكتب والمؤلفات من أبرزها: "جاهلية القرن العشرين"، و "واقعنا المعاصر"، و "كيف نكتب التاريخ الإسلامي"، و "لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهج حياة"، و "العلمانيون والإسلام"، و "شبهات حول الإسلام"، و "حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية." يعيش حالياً في ظرف صحي غير مستقر في أحد مستشفيات مدينة جدة جمع الله له بين الأجر والعافية (نقلاً بتصرف عن موقع الشهابwww.chihab.net).

الورع أربعة أقسام:لأنه: إما ورع الشهادة وهو الامتناع مما يسقطها وإما ورع المتدي نوهو ترك ما يتطرق إليه احتمال التحريم الذي له موقع وإن أفتى المفتي بحله عملا بالظاهر ولا أثر للاحتمال البعيد كمن ترك الاصطياد لاحتمال أن الذي يصطاده قد اصطاده غيره وانفلت منه – فهذا وسواس لا ورع وأما ورع المتقين وهو ترك ما يخاف انجراره إلى الحرام وإن كان حلالا لا شبهة فيه

قدم محمد قطب في كتابه (دراسات في النفس الإنسانية) تصوراً إسلامياً عن النفس الإنسانية استمده من نصوص الكتاب والسنة ، حيث يورد ثمانية خطوط لتلك النفس، ويذكر لكل منهما الخصائص التالية: متجاوران، ومتضادان، ومترابطان غير متزاحمين، وغير متعارضين وأن تعارضا فذلك بسبب حملهما على ذلك، وأن النفس تعمل بمجموعها كله دون انفصال أجزاءها. وهذه الخطوط هي: (الخوف والرجاء: خطان مقابلان من خطوط النفس، يوجدان فيها متجاورين مزدوجي الاتجاه ... يولد الطفل وفيه هذان الاستعدادان متجاورين... الحب والكره: الحب والكره خطان شديدا العمق في النفس الإنسانية، حتى ليبدو لأول وهلة ــ كما بدأ لفرويد ــ أنهما الخطان الأولان في كيان النفس. ولكنا رأينا في الفقرة السابقة ونحن نتدرج مع الطفل منذ مولده، أن خطي الخوف والرجاء أسبق ظهوراً، لأنهما ملتصقان بذات الطفل، قبل أن يعرف الحب والكره، اللذين يربطان بينه وبين عالم خارج عن كيان ذاته...الحسية والمعنوية: هذا الخطان .. الطاقة

الحسية والطاقة المعنوية في الإنسان ينبعان بصورة ظاهرو من حقيقة الجسد والروح التي بنينا عليها ازدواج الطبيعة البشرية... ما تركه الحواس وما لا تدركه الحواس: الإيمان بالمحسوس والإيمان بالغيب. خطان آخران من الخطوط المتقابلة في النفس البشرية .. أحدهما يؤمن بما تركه حواسه من سمع وبصر ولمس وشم وذوق ... والآخر يؤمن بما وراء الحس .. مما لا يرى ولا يسمع و لا يلمس ولا يذاق ولا يشم ... وهما خطان يسيران مقاربين لخطي الحسية والمعنوية .. ولكنهما ليسا هما بالضبط، إنما شبيهان .. فهناك تحدثنا عن (طاقات) حسية ومعنوية ... وهنا نتحدث عن (الإيمان) بالمحسوس و(الإيمان) بالغيب... الواقع والخيال: خطان متقابلان في داخل النفس .. قريبان في ظاهرهما من خطى الحسية والمعنوية، وخطى الإيمان بما تدركه الحواس والإيمان بالغيب .. ومع ذلك فكل من هذه الأزواج الثلاثة ذو كيان متميز... الالتزام والتحرر: في الإنسان ميل للالتزام. ميل لأن يلتزم بأشياء معينة وينفذها ... ومع عمق هذا الميل للالتزام في الطبع البشري، فإن فيه إلى جانب ذلك ميلاً للإحساس بأنه غير ملتزم إ وأنه يؤدي الأشياء لأنه هو يريد أن يؤديها لا لأنها مفروضة عليه... السلبية والإيجابية: خطان متقابلان في النفس قريبا الشبه بخطي الالتزام والتحرر .. ولكنهما لا يتطابقان... والأقرب إلى الظن أن تكون السلبية ناشئة من حقيقة الجسد، والإيجابية ناشئة من حقيقة الروح. فقبضة الطين سلبية تخضع للقوانين المادية خضوعاً كاملاً ــ إلا ما شاء الله ــ و لا تملك التغيير و لا تفكر فيه. ونفخة الروح إيجابية .. فهي نفخة من روح الخالق المنشئ المدبر المبدع المريد... الفردية والجماعية: هذا الخطان من أخطر الخطوط في حياة البشرية. فعليهما ــ في صورتهما الصحيحة أو المنحرفة ــ تقوم نظم الحياة كلها، صالحها أو فاسدها، وعلاقات الحياة كلها، سويها أو منحرفها، وسلوك الأفراد والجماعات)(دراسات في النفس الإنسانية، ص 71ــ150).

ويبين محمد قطب منظور الإسلام للإنسان بصورة متميزة فيقول:

(أهم ما يتميز به الإسلام أنه يأخذ الكائن البشري على ما هو عليه، لا يحاول أن يفسره على ما ليس من طبيعته، كما تصنع النظم المثالية، وإن كان في الوقت

الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر، ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة: إما قبيحة، وإما جميلة. فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر (القاسمي)

سر علم التوحيد وروحه هو تحقيق الإيمان بالله تعالى، أي جزم القلب بوجوده سبحانه، وما يتبعه من صفاته الجليلة، ونعوته الجميلة، جزماً بالغاً النهاية ومتجاوزاً من الحدود والغاية، بحيث لا يصاحبه ريب ولا يشوبه شك (القاسمي)

ذاته يعمد إلى تهذيب هذه الطبيعة إلى آخر مدى مستطاع، دون أن يكبت شيئاً من النوازع الفطرية، أو يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع، وبين المثل العليا التي يرسمها له. الإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بالملاك ولا بالحيوان. وإن كان قادراً في بعض حالات الهبوط أن يصبح أسوأ من الحيوان، وفي بعض حالات الارتفاع أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر. ولكنه في حالته الطبيعية شئ بين هذا وذاك. مشتمل على استعداد للخير كما هو مشتمل على استعداد للشر. وليس أي من العنصرين غريباً على طبيعته، ولا مفروضاً عليه من خارج نفسه)(الإنسان بين المادية والإسلام، ص69).

ونختم بكلام محمد قطب عن فطرة الإنسان حيث يقول:

(مقياس الفطرة الثابت في التطور النفسي هو النمو الدائم نحو النضوج والتكامل والشمول والتوازن. فكل فرد أو جيل يتجه نحو هذا اللون من النمو فهو سليم الفطرة سائر في الطريق الصحيح. وكل فرد أو جيل يثبت على درجة معينة من النمو ــ متخلفة ــ أو يتقدم ببعض جوانب نفسه ويتأخر ببعض، أو يفقد توازنه، فهو منحرف الفطرة في حاجة إلى علاج)(التطور والثبات في حياة البشرية، ص 146).

تعليـــــــــــق:

يبدو في المختارات التي نقلناها لعلماء الطبقة الخامسة قرباً مما هو مطروح في عصرنا الحاضر. فنجد لدى القاسمي طرح يغلب عليه الجانبي الشرعي الذي يحرص على تأكيد جانب العقيدة ودورها المهم في سلوك الإنسان. ونجد لدى الشيخ السعدي وهو المفسر نظرة ثاقبة إلى تعهد النفس بالإيمان والعمل الصالح مما يهيئها للسعادة الدنيوية والأخروية، كما يذكر مصادر المعرفة التي يعترف بها الغرب وهي العقل والحواس ويضاف المصدر المغيب لديهم وهو الوحي لتكتمل مصادر المعرفة لدى الإنسان. وأخيراً نجد لدى محمد قطب طروحات يمكن لكل متخصص نفسي أن يأخذها ويقدمها في أي محفل نفسي معاصر يدور الحوار فيه عن الإنسان والنفس الإنسانية، فيجد فيما كتبه تحليلات عميقة للنفس البشرية مقارنة بما لدى بعض علماء النفس الغربيين، مبنية على أسس متينة من الكتاب والسنة.

يزعمون أن المجنون إذا صرعته الجنَية، وأن المجنونة إذا صرعها الجنَي، أن ذلك إنما هو عن طريقالعشق والهوى وشهوة النكاح ... وأن عين الجان أشد من عين الإنسان) (القاسمي)

أهم ما يتميز به الإسلام أنه يأخذ الكائن البشري على ما هو عليه، لا يحاول أن يفسره على ما ليس من طبيعته، كما تصنع النظم المثالية، وإن كان في الوقت ذاته يعمد إلى تهذيب هذه الطبيعة إلى آخر مدى مستطاع، دون أن يكبت شيئاً من النوازع الفطرية، أو يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع، وبين المثل العليا التي يرسمها له (محمد قطب)

خلاصة

من خلال النماذج التي تم عرضها قد لا نستطيع تقديم صورة كاملة الملامح لنظرة علماء التراث النفسي للإنسان والنفس الإنسانية، لأن ذلك يحتاج مساحة أكبر نستطيع من خلالها عرض نماذج أكثر وتفصيلات أوسع تعكس الصورة بشكل قريب من ما قدموها في طروحاتهم، ولكن نظراً لمحدودية الصفحات المتاحة لهذا الورقة البحثية، ولضيق الوقت، نرجو أن نكون وفقنا في اختيار النماذج التي تعطي لمحات عن تصور هؤلاء العلماء للإنسان والنفس الإنسان، وربما أمكننا أن نلخص ملامح التصور هذا التصور في النقاط التالية:

5) أن الإنسان مخلوق من عنصرين هما المادة (التراب) والروح. وهما يحتاجان إلى ما يشبعهما، فالمادة تحتاج لحاجات الجسدية من غذاء وجنس وراحة وما يدخل فيها، وكذلك الروح تحتاج إلى إشباع عن طريق ما يأتي به الدين من عبادات وأخلاق.

6) أن مصادر المعرفة للإنسان تبدأ بالحواس ثم العقل ثم الوحي، ويكون الوحي هو المعيار لما يقبل ويرفض من المصدرين السابقين.

7) إن النفس الإنسان لديه الاستعداد للخير والشر، ولكنها مفطورة على فطرة الخير المركوزة في الجبلية الإنسانية، ما لم يأتي ما يحرفها عن فطرتها من عوامل خارجية كالوالدين والشيطان ورفاق السوء.

8) أن الأمراض النفسية لا تتوقف على ما يدرس حالياً في علم النفس بل يدخل فيها ما يعرف بأمراض الباطن أو أمراض القلوب والتي ورد لدى علماء المسلمين تناول لها في الوقاية والعلاج مما لا يتوفر لدى الباحثين الغربيين.

9) العديد من علماء المسلمين يستفيدون مما يورده غير المسلمين فيما يتعلق بالإنسان والنفس الإنسان وقوى النفس، ثم يضيفون ما يقدمه لهم الوحي مما معارف توسع آفاق تناولهم لتلك الموضوعات وتنقلها إلى فضاءات أرحب وأكثر قرباً من واقع الإنسان والنفس الإنسانية.

هذا ما تيسر كتابته، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يزم الدين.

(ورقة بحثية سبق تقديمها إلى حلقة النقاش العلمي الثالثة للجنة التأصيل الإسلامي للعلوم بالندوة العالمي للشباب الإسلامي الدمام 15_1432/6/16هـ الموافق 18_2011/5/19م)

الإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بالملاك ولا بالحيوان. وإن كان قادراً في بعض حالات الهبوط أن يصبح أسوأ من الحيوان، وفي بعض حالات الارتفاع أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر (محمد قطب)

مقياس الفطرة الثابت في التطور النفسي هو النمو الدائم نحو النضوج والتكامل والشمول والتوازن. فكل فرد أو جيل يتجه نحو هذا اللون من النمو فهو سليم الفطرة سائر في الطريق الصحيح (محمد قطب)

كل فرد أو جيل يثبت على درجة معينة من النمو – متخلفة – أو يتقدم ببعض جوانب نفسه ويتأخر ببعض، أو يفقد توازنه، فهو منحرف الفطرة في حاجة إلى علاج(محمد قطب)

المراجــــــــــع

أبـن المقفـع، عبـدالله، الأدب الصغير والأدب الـكبير، شرح ودراسة مفيـد قميحة، الريـاض: دار الشواف، 1410هـ.

ابـن المقفـع، عبـدالله، اليـتيمة، القـاهرة: المكتبة المحموديـة، (ب ،ت).

المحاسبي، الحارث بـن أسد، معاتبـة النفس، تحقيق محمد عبدالقـادر عطا، القـاهرة: دار الاعتصام، ب.ت.

المحاسبي، الحارث بـن أسد، آداب الـنفوس، تحقيق عبدالقـادر عطا، بيروت: مؤسسة الكتب الثقـافية، 1408هـ.

المحاسبي، الحارث بـن أسد، المسائل في أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل، تحقيق عبدالقادر أحمد عطار، القـاهرة: عالم الكتب، ب.ت.

المحاسبي، الحارث بـن أسد، الـرعاية لحقوق الله، تحقيق عبدالرحمن عبدالحميد البر، المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع، 1420هـ.

الجاحظ، عمرو بن بحر، تهذيب الحيوان، تحقيق وتهذيب: عبدالسلام هارون، جزاءن، القـاهرة: مكتبة النهضة، ب.ت.

الجاحظ، عمرو بـن بحر، تهذيب البخلاء، تحقيق طه الحاجري، ط5، القـاهرة: دار المعارف، ب.ت.

الجاحظ، عمرو بن بحر، المحاسن والأضداد. www.al-mostafa.com في 2011/4/15م.

الجاحظ، عمرو بـن بحر، الآمل والمأمول. www.al-mostafa.com في 2011/4/15م.

الجاحظ، عمرو بـن بحر، الحنين إلى الأوطان، ط2، بيروت: دار الرائد العربي، 1402هـ.

الجاحظ، عمرو بـن بحر، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، بيروت: دار الندوة الإسلامية، ب.ت.

أبـن مسكوية، أحمد بـن محمد، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط2، بيروت: دار مكتبة الحياة، ب.ت.

أبـن مسكوية، أحمد بـن محمد، السعادة، القـاهرة: المدرسة الصناعية الإسلامية، 1335هـ.

أبـن مسكوية، أحمد بـن محمد، الفـوز الأصغر، بيروت: دار مكتبة الحياة، ب.ت.

الغزالي، أبوحامد محمد، إحياء علوم الدين، خمسة أجزاء، بيروت: دارالمعرفة، ب.ت.
الغزالي، أبوحامد محمد، منهاج العابدين، تحقيق محمد مصطفى أبوالعلا، القاهرة: مكتبة الجندي، 1392هـ.
العثمان، عبدالكريم، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ط2، القاهرة: دار غريب للطباعة، 1401هـ.
أبن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، ذم الهوى، تحقبق أحمد عبدالسلام عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ.
أبن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، رسالة إلى ولدي: رسالة في الحث على طلب العلم، تحقيق عمرو عبدالمنعم، القاهرة: دار السلام، 1412هـ.
أبن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، الأذكياء، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ب.ت.
أبن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، صيد الخاطر، تحقيق ناجي الطنطاوي، دمشق: دار الفكر، ط4، 1407هـ.
الرازي، فخر الدين محمد، الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل، تحقيق أحمد حجازي السقا، بيروت: دار الجيل، 1413هـ.
الرازي، فخر الدين محمد، أساس التقديس، تحقيق أحمد حجازي السقا، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ب.ت.
الرازي، فخر الدين محمد، يسألونك عن الروح من تفسيره مفاتح الغيب، تحقيق محمد عبدالعزيز الهلاوى، القاهرة: مكتبة القرآن، ب.ت.
الرازي، فخر الدين محمد، النفس والروح، تحقيق سليمان سليم البواب، دمشق: دار الحكمة للطباعة والنشر، 1407هـ.
الرازي، فخر الدين محمد، الفراسة،
أبن تيمية، أحمد، تزكية النفس، تحقيق محمد سعيد القحطاني، ط2، القاهرة: مكتبة السنة، 1416هـ.
أبن تيمية، أحمد، الحسنة والسيئة، تقديم محمد جميل غازي، جدة: دار المدني، 1406هـ.

أبن تيمية، أحمد، التحفة العراقية في أعمال القلوب، تحقيق سليمان مسلم الحرشي، الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع، 1407هـ.

أبن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، 37مجلد، ب.ت.

أبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشورة ولاية العلم والإرادة، جزاءن، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1418هـ.

أبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب من الكلم الطيب، دمشق: دار البيان، ب.ت.

أبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدى خير العباد، خمسة أجزاء، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، ط7، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ.

أبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ثلاثة أجزاء، بيروت: دار الكتاب العربي، 1410هـ.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الشاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، تحقيق أحمد عبدالفتاح تمام، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ب.ت.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، سهام الإصابة في الدعوات المستجابة، تحقيق عادل أبو المعاطي، القاهرة: دار البشير، ب.ت.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، تحقيق يوسف بديوي وعلى الكرري، بيروت: دار مكتبة التربية، 1410هـ.

أبن حجر الهيثمي، الأناقة فيما جاء في الصدقة والضيافة، مكتبة مشكاة الإسلام.

أبن حجر الهيثمي، الزاجر، مكتبة مشكاة الإسلام الالكترونية. في 2011/4/27م.

أبن حجر الهيثمي، الإفصاح عن أحاديث النكاح، ، مكتبة مشكاة الإسلام الالكترونية. في 2011/4/27م.

المغراوي ، أحمد، المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، تحقيق عبدالهادي التازي، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1407هـ.

القاسمي، محمد جمال الدين، جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب، تحقيق حسن السماحي سويدان، دمشق: دار ابن كثير، 1417هـ.

القاسمي، محمد جمال الدين، دلائل التوحيد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ.

القاسمي، محمد جمال الدين، مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، دمشق: مطبعة المقتبس، 1328هـ.

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، الجيزة: مكتبة التوعية الإسلامية، 1408هـ.

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، لرياض الناظرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، الرياض: المؤسسة السعيدية، ب.ت.

السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1419هـ.

قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية، ط5، بيروت: دار الشروق، 1401هـ.

قطب، محمد، الإنسان بين المادية والإسلام،ط9،بيروت: دار الشروق، 1408هـ.

قطب، محمد، التطور والثبات في حياة البشرية، ط7، بيروت: دار الشروق، 1408هـ.

أ.د. صالح إبراهيم الصنيع



- **تاريخ الميلاد:** 11/1/1959م
- **الاختصاص:** علم النفس
- **الاهتمامات العلمية:**

موضوعات التأصيل الإسلامي لعلم النفس، علم النفس الجنائي وتطبيقاته، علم النفس التربوي وتطبيقاته، مشكلات الشباب في عصرنا الحاضر.

- **الممارسات المهنية:**

التدريس في المستويين الجامعي والدراسات العليا.
الإشراف العلمي على طلاب وطالبات الدراسات العليا في إعداد الرسائل العلمية.
الإشراف الميداني في المقررات الميدانية التطبيقية في المستويين الجامعي والدراسات العليا.
التحكيم العلمي للبحوث المقدمة للدوريات العلمية إلى المؤسسات العلمية السعودية.
التحكيم العلمي للترقيات لأعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية والعربية.
الاستشارات النفسية لعدد من المواقع النفسية على الانترنت، وكذلك في وسائل الإعلام المختلفة الورقية والاذاعية والفضائية.المشاركة في المؤسسات المهنية النفسية داخل المملكة وخارجها.

- **المؤلفات:**

التدين علاج الجريمة ، المجلس العلمي ، جامعة الإمام ، 1414هـ .
التدين علاج الجريمة الطبعة الثانية ، مكتبة الرشد ، الرياض ، 1419 هـ .
دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، عالم الكتب ، الرياض، 1416هـ .
دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، عالم الكتب ، الرياض ، ط 2 ، 1420هـ
التدين والصحة النفسية ، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام ، 1421هـ .
التدين والصحة النفسية ، الطبعة الثانية (صدر بعنوان الصحة النفسية من منظور إسلامي، الرياض: دار الفضيلة، 1426هـ.
التفكك الأسري، الأسباب.. والحلول المقترحة، (مؤلف مشترك) كتاب الأمة، العدد83، السنة الحادية والعشرون،جمادى الأولى 1422هـ.
دراسات في علم النفس من منظور إسلامي، الرياض، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى 1423هـ.
المدخل إلى التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، الرياض: مكتبة الرشد، 1428هـ.
المدخل إلى التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، الرياض: مكتبة الرشد،ط2، 1434هـ.
ـ دراسات في علم النفس من منظور تأصيلي، الرياض، دار عالم الكتب، 1432هـ .
علم نفس الإرهاب، الرياض: مكتبة الرشد،(تحت الطبع) 1435هـ